مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن للناس مجالس يرتادونها، وبينهم أحاديث يتداولونها ويتجاذبون أطرافها، ولكل من المحادثة والمجالسة آداب جميلة، وسنن قويمة، يحسن بالمرء مراعاتها، ويجمل به أن يتخلق بها، ويتجنب ما ينافيها؛ ليكون حديثه ماتعاً، ومجلسه ممرعاً، تسوده الحكمة، وتغشاه السكينة، وتتنزل عليه الرحمة.

وإن المتأمل لأحاديثنا ومجالسنا ليلحظ خللاً كبيراً، وتقصيراً كثيراً؛ ذلك أنها تعمر غالباً بالهذر الضار، واللغو الباطل، الذي لا طائل تحته، ولا فائدة ترجى من ورائه.

فلا يعالج في تلك المجالس قضية، ولا يأمر فيها بصدقة، أو بمعروف، أو إصلاح بين الناس.

بل ربما أضحت مراتع للخنا، ومنتدياتٍ للزور، يسفك فيها دم الفضيلة، وترفع في سوحها ألوية الرذيلة؛ فلا غرو إن صارت وبالاً على أهليها، وحسرةً على مرتاديها؛ حيث فقدوا بركتها، وحرموا خيراتها، فلا يجد المرء فيها أنسه، ولا من يقدر كرامته وإنسانيّته، بل ربما وجد الإهانة والإساءة من جلاسه.

فمـا أحرانـا_معاشـر المسـلمين_أن تكـون أحاديثنـا ومجالسنا عامرة بالجد والحكمة، حافلة بمـا يعـود علينـا بالفائدة والمتعة، بعيدة عما ينافي الآداب والمروءة.

وإن مما يعين على ذلك أن تلقى الأضواء على مايدور في مجالسنا وأحاديثنا من أخطاء؛ كـي تُتلافـى ويُسـعى في علاجها.

وفي مايلي مـن صـفحات ذكـرٌ لبعـض تلـك الأخطـاء؛ تنبيهاً عليها، وحفزاً لمن وقع فيها أن يتخلص منها.

فعسى الله أن ينفـع بهـذا العمـل، وأن يجعلـه خالصـاً لوجه الكريم؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

محمد بن إبراهيم الحمد
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية
_ فرع القصيم
الزلفي 3/5/1416هـ
ص.ب: 460
www.toislam.net

أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة

1_الثرثرة:

الثرثرة هي كـثرة الكلام بلا فائـدة، والثرثـار هـو كـثير الكلام تكلفاً.

فتجد من الناس من هو ثرثار مهـذار، يتكلـم مـن كـل باب، ويتولج كل مضيق.

فإذا حضر مجلساً مـا ملأه بكـثرة الضـجيج، وأشـغله بفضول الكلام.

فالثرثرة مظهر من مظاهر سوء الخلق، وهـي دليـل عل نقص العقل ورقّةِ الدين.

قال النبي_عليه الصلاة والسـلام_=**إن مـن أحبكـم إليّ، وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلـيّ، وأبعـدكم منـي فـي الآخـرة أسـوؤكم أخلاقـاً؛ الثرثـارون، المتفيهقـون، المتشدقون**+.[1]

وقال أبو هريرة ÷: = لاخير في فضول الكلام+.[2]

وأوصى ابـن عبـاس_رضـي اللـه عنهمـا_رجلاً فقـال: =لاتتكلم بما لايعنيك؛ فإن ذلك فضل، ولست آمن عليك

---

[1] ()أخرجه أحمد 4/ 193_194، وابن حبان(482) وابن أبي شيبة 8/515، والبغوي في شرح السنة(395) كلهم من حديث أبي ثعلبة الخشني، والترمذي(2018) عن جابر وقال: = حديث حسن غريب+ وقال الهيثمي في المجمع 8/ 21: = رجال أحمد رجال الصحيح+ وحسنه الألباني في الصحيحة(791).

[2] () بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر 1/61.

من الوزر، ودع الكلام في كثير مما يعنيك حتى تجد له موضعاً؛ فربما متكلماً في غير موضعه قد عُنِّت+.[1]

وقال عطاء ×: =كانوا يكرهون فضول الكلام+.[2]

وقال: =بترك الفضول تكمل العقول+.[3]

وقال: =الصمت صيانة اللسان، وستر العِيّ+.[4]

وقال الشافعي ×:

لاخير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى

والصمتُ أجملُ بالفتى من منطقٍ في غير[5]

وقال إسماعيل الكاتب:

خيرُ الكلام قليلٌ على كثيرٍ دليلُ

والعِيّ معنىً قصيرُ يحويه لفظٌ طويلُ[6]

قال الإمام النووي× =اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام المباحُ وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد يجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثيرٌ في العادة، والسلامة لايعدلها شيء+.[7]

وقال القاسمي: =إياك وفضول الكلام؛ فإنه يُظهر من عيوبك مابطن، ويحرك من عدوك ماسكن؛ فكلام

---

[1] () العزلة للخطابي، ص 134.
[2] () بهجة المجالس.1/61.
[3] () بهجة المجالس.1/61.
[4] () بهجة المجالس.1/61.
[5] () ديوان الشافعي ص 136 بتحقيق د.محمد عبد المنعم خفاجي.
[6] () بهجة المجالس 1/61.
[7] () رياض الصالحين للنووي ص 391.

الإنسان بيان فضله وترجمان عقله؛ فاقصره على الجميع، واقتصر منه على القليل+.[1]

ولئن كان نزول الصمت، وترك الحديث فيما لايعني مستحسناً مطلوباً من كل أحد_فلهو ممن يأنس من نفسه الجهل، وكثرة الزلل والخطأ أولى وأولى.

قال علي بن عبدالرحمن بن هذيل: =من الواجب على من عري من الأدب، وتخلى عن المعرفة والفهم، ولم يتحلّ بالعلم_أن يلزم الصمت، ويأخذ نفسه به؛ فإن ذلك حظ كبير من الأدب، ونصيب وافر من التوفيق؛ لأنه يأمن من الغلط، ويعتصم من دواعي السقط؛ فالأدب رأس كل حكمة، والصمت جماع الحكم+.[2]

قال الشاعر:

وفي الصمت سترٌ لعيي صحيفة لب المرء أن

[3]

2_الاستئثار بالحديث:

فهناك من يثرثر حديثه، ولكنه يعطي غيره فرصة كي يتحدث.

والثرثرة قبيحة_كما مر_وأقبح منها أن يستأثر المرء بالحديث، فلا يعطي غيره فرصة لأن ينبس ببنت شفة.

والأثرة بالحديث آفة قبيحة، يغفل عنها كثير من المتحدثين؛ لظنهم أن سكوت من أمامهم إنما هو إعجاب بكلامهم، وموافقة لهم على الإطالة.

---

[1] () جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب للقاسمي ص 6.

[2] () عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل ص 128.

[3] () عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل ص 128.

فيحسن بالتحدث تجنب الاستئثار بالحديث وأن لايعيب على غيره ذلك ويبيحه لنفسه.[1]

فمن الأدب بالكلام أن يقتصد المسلم في تحدثه في المجالس، وأن ينأى بنفسه من صنيع بعض الناس، ممن لايستحيون من امتلاك ناصية الحديث في محافل الناس، فيملأون الأفئدة بالضجر من طول مايتحدثون.[2]

قال الشيخ_عبدالرحمن بن سعدي ×: =إياك أن تتصدى في مجالسك مع الناس للترؤس عليهم وأنت لست برئيس، وأن تكون ثرثاراً متصدراً بكل كلام.

وربما من جهلك وحمقك ملكت المجلس على الجلوس، وصرت أنت الخطيب والمتكلم دون غيرك.

وإنما الآداب الشرعية والعرفية مطارحة الأحاديث، وكلٌ من الحاضرين يكون له نصيبٌ من ذلك، اللهم إلا الصغار مع الكبار، فعليهم لزوم الأدب، وأن لا يتكلموا إلا جواباً لغيرهم+.[3]

3_الحديث عن النفس على سبيل المفاخرة:

فبعض الناس لايفتأ يتحدث عن نفسه، فيذكر محاسن نفسه، ويمتدح أعماله، ويفتخر بما يصدر منه من أفضال وأيادٍ.

ويدخل في ذلك تحدثه عن إعجابه بكلامه، وتصنيفه، وشعره، وسائر مايخصه.

ويدخل في ذلك_أيضاً_حديثه عن ذكاء أولاده، وذكر أخبارهم، والحديث عن زوجته، وحسن تدبيرها، ونحو ذلك.

---

[1] () انظر كيف تحاور د.طارق الحبيب ص 15.

[2] () انظر خلق المسلم للغزالي ص 160.

[3] () الرياض الناضرة ضمن المجموعة الكاملة لابن سعدي، الخامسة ص 549.

والأصل في مـدح الإنسـان نفسـه المنـع؛ لقـوله_عـز وجل_ [**فلاتزكوا أنفسكم**] (النجم: 32).

وتزكية النفس داخلة في باب الافتخار غالباً.

فإن وجد ما يقتضي الحديث عن النفس وتزكيتها_إمـا للتعريف بنفسه، وإما لتوضيح الأمور المبهمة، وإما لدفع تهمة، وإما لغير ذلك مـن الأمـور المشـروعة_فـإن تلـك التزكية جائزة، ومدح النفس والحديث عنها حينئذٍ لاغبـار عليه.[1]

قال الإمام النووي ×: =واعلم أن ذكر محاسن نفسه ضربان: مذموم ومحبوب.

فالمذموم أن يذكر للافتخار، وإظهار الارتفاع، والتميز على الأقران، وشبه ذلك.

والمحبـوب أن يكـون فيـه مصـلحة دينيـة، وذلـك بـأن يكـون آمـراً بمعـروف، أو ناهيـاً عـن منكـر، أو ناصـحاً بمصـلحة، أو معلمـاً، أو مؤدبـاً، أو واعظـاً، أو مـذكراً، أو مصلحاً بين اثنين، أو يدفع عن نفسه شراً، أو نحو ذلـك، فيذكر محاسنه ناوياً بذلك أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله، واعتماد مايذكره.

وقد جاء لهذا المعنى مالايحصى من النصوص+.[2]

ثم ساق × أمثلة على ذلك.[3]

قـال ابـن المقفـع: =وإن أنسـت مـن نفسـك فضلاً_فتحرّج من أن تذكره، أو تبديه، واعلم أن ظهـوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب النـاس مـن العيـب أكثر مما يقرر لك من الفضل.

---

[1] () انظر السلوك الاجتماعي في الإسلام لحسن أيوب ص 428_429.

[2] () الأذكار للنووي ص 246_247.

[3] () انظر الأذكار ص 247.

واعلـم أنـك إن صـبرت، ولـم تعجـل ظهـر ذلـك منـك بالوجه الجميل المعروف عند الناس.

ولايخفينّ عليك أن حرص الرجل على إظهار ماعنـده، وقلة وقاره في ذلك_باب من أبواب البخل واللـؤم، وأن خير الأعوان على ذلك السخاءُ والتكرم.

وإن أردت أن تلبـس ثـوب الوقـار والجمـال، وتتحلـى بحلية المودة عند العامة، وتسلك الجدد[1] الذي لاخبار[2] فيه ولاعثار_فكن عالماً كجاهل، وناطقاً كعيي.

فأما العلم فيزينك ويرشدك، وأما قلـة ادعـائه فتنفـي عنـك الحسـد، وأمـا المنطـق إذا احتجـت إليـه فيبلغـك حاجتك، وأما الصمت فيكسبك المحبة والوقار+.[3]

4_الغفلة عن مغبة الكلام:

فهناك من يطلق لسانه بـالكلام دونمـا نظـر أو مبـالاة في آثاره، أو أبعاده.

فتجده يطلق القول على عواهنه غير عابىء بما يجره عليه مـن بلاء أو شـقاء؛ فلربمـا كـان سـبباً فـي مقتلـه، ولربما كان سبباً في إذكاء عـداوة، أو إشـعال حـرب، أو نحو ذلك.

قال أكثم بن صيفي: = مقتل الرجـل بيـن فكيـه +[4] يعني لسانه.

---

[1] () الجدد: الأرض المستوية.

[2] () لا خبار: الخبار ما استرخى من الأرض.

[3] () الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع ص 135 شرح ودراسة د.مفيد قميحة.

[4] ()المحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهقي ص 427.

وقال المهلب لبنيه: = اتقوا زلة اللسان؛ فإني وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته، ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه+[5]

قال الشاعر:

يصاب الفتى مـن عـثرةٍ ... وليس يصاب المـرء مـن

وعثرته مـن فيـه ترمـي ... عَلـــــــى مهـــــــل[2]

والعرب تقول في أمثالها: =إياك وأن يضرب لسـانك عنقك+.

أي إياك أن تلفظ بما فيه هلاكك.[3]

وقال علي ÷: =اللسان معيار أطاشة الجهل، وأرجـه العقل+.[4]

وقـال بعـض البلغـاء: =الـزم الصـمت؛ فـإنه يُكسـبك صـفوَ المـودة، وَيُؤَمِّنُـكَ سـوءَ المَغَبَّـةِ، ويُلْبِسُـكَ ثـوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار+.[5]

وقال بعضهم: =اعقل لسانك إلا عن حق توضـحه، أو باطل تدحضه، أو نعمة تذكرها+.[6]

وقال طرفه بن العبد:

وإن لسـان المـرء مـالم ... لـــــــــــــــدليل[8]

---

[5] () المحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهقي ص 427.

[2] المحاسن والمساوئ ص 428.

[3] ( ) الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص 41 ومجمع الأمثال للميداني 1/808.

[4] () أدب الدنيا والدين للماوردي ص 275.

[5] () أدب الدنيا والدين للماوردي ص 275.

[6] () أدب الدنيا والدين ص 275.

[7] () حصاة: عقل.

يقول إذا لم يكن مع اللسان عقل يحجزه عـن بسـطه في مالا يحب_دل اللسان على عيبه بمـا يلفـظ بـه مـن عور الكلام.[1]

وقال الآخر:

رأيت اللسان على أهلـه مغيـــــــــــــــــرا[2]

وقال عمرو بن العاص ÷: =زَلَّةُ الرِّجْـلِ عَظْـمٌ يجـبر، وزلة اللسان لاتبقي ولاتذر+.[3]

بل إن الإنسان قد يتكلم بكلمة لايلقي لهـا بـالاً يهـوي بها في جهنم.

عـن أبـي هريـرة ÷ عـن النـبي" قـال: =**إن العبـد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لايلقي لها بــالاً يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمـة من سخط الله لايلقي لها بـالاً يهـوي بهـا فـي جهنم+.**[4]

ولهذا يجب علـى العاقـل أن يخـزن لسـانه، وأن يـزن كلامه؛ حتى لايقع فيما لاتحمد عقباه، فيندم ولات ساعة مندم.

قـال ابـن المقفـع: =اعلـم أن لسـانك أداة مُصـْلتة، يتغالب عليه عقلك، وغضبك، وهواك؛ فكـلٌّ غـالبٍ عليـه مُسْتَمْتِعٌ به، وصارفه في محبته.

فإذا غلب عليه عقلك فهو لك، وإن غلـب عليـه شـيءٌ من أشباه ماسميت لك فهو لعدوك.

---

[8] () ديوان طرفة بن العبد ص 81، وانظر بهجة المجالس لابن عبد البر 1/ 83.

[1] () انظر لسان العرب 14/183.

[2] () بهجة المجالس 1/83.

[3] () بهجة المجالس 1/87.

[4] () أخرجه البخاري 7/185 عن أبي هريرة.

فإذا استطعت أن تحتفظ به، وتصونه فلا يكون إلا لك، ولا يستولي عليه، أو يشاركك فيه عدوك_فافعل+.[1]

وقال الماوردي ×: =واعلم أن للكلام شروطاً لايسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولايعرى من النقص إلا بعد أن يستوفيها.

وهي أربعة شروط، فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداعٍ يدع إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر.

والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فرصته.

والشرط الثالث: أن يقتصر فيه على قدر الحاجة.

والشرط الرابع: أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به+.[2]

ثم شرع ×بتفصيل ذلك بكلام جميل.

وقال الزمخشري: = خير الألسن المخزون، وخير الكلام الموزون؛ فحدِّث إن حدّثت بأفضل من الصمت، وزين حديثك بالوقار وحسن السمت.

إن الطيش في الكلام يترجم عن خفة الأحلام، ومادخل الرفق بشيء إلا زانه، ومازان المتكلم إلا الرزانة+.[3]

5_قلة المراعاة لمشاعر الآخرين:

فمن الناس من هو غليظ الطبع، كثيف النفس، صفيق الوجه، لايحجزه عن المباذل يقين، ولاتلزمه المكارم مروءة، لايراعي مشاعر الآخرين، ولا يأنف من مواجهتهم بما يكرهون.

---

[1] () الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع ص 139.

[2] () أدب الدنيا والدين ص 275.

[3] () أقوال مأثورة وكلمات جميلة، د.محمد بن لطفي الصباغ، ص 148 عن أطواق الذهب للزمخشري، ص 89.

فإذا ماحضر مجلساً، وابتدر الكلام، وضعت يدك على قلبك؛ خشيت أن يزل أو يفرط على أحد من الحاضرين.

فإذا ماوجد مجالاً يشبع فيه طبيعته النزقة الجهول_هام على وجهه، لاينتهي له صياح، ولاتنحبس له شِرَّة.

فتارة يذكر الحاضرين بعيوبهم، وتارة يؤذيهم بلحن منطقه، وتارة يذكرهم بأمور يسوؤهم تذكرها.

=أكب رجل من بني مرة على مالك بن أسماء يحدثه في يوم صيف، ويُغِمّه، ويثقل عليه، ثم قال: أتدري من قتلنا منكم في الجاهلية؟.

قال: لا، ولكني أعرف من قتلتم منا في الإسلام.

و قال: من هم؟

قال: أنا قتلتني اليوم بطول حديثك، وكثر ة فضولك+.[1]

وقال ابن القيم ×: =ومنهم من مخالطته حمى الروح، وهو الثقيل البغيض العقل، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولايعرف نفسه فيضعها في منزلتها.

بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به؛ فهو يحدث من فيه كلما تحدث، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرّحا العظيمة، التي لايطاق حمله ولاجرها على الأرض.

---

[1]() عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لأبي الحسين علي ابن عبد الرحمن بن هذيل ص 192.

ويذكر عن الشافعي× أنه قال: ماجلس إليّ ثقيـل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر.

ورأيت يوماً عند شيخنا[1] _قدس الله روحه_رجلاً مـن هذا الضرب، والشـيخ يحملـه وقـد ضـعفت القـوى عـن حمله، فالتفت إليّ وقال: مجالسة الثقيـل حمـى الربـع، ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا علـى الحمـى، فصـارت لها عادة، أو كما قال+.[2]

ولهـذا فالرجـل النبيـل، ذو المـروءة والأدب هـو مـن يراعـي مشـاعر الآخريـن، فلا يـؤذيهم بكلمـة، ولايجـرح مشاعرهم بإشارة أو نحوها، بل يحفظ عليهـم كرامتهـم وماء وجوههم.

خـــالق النـــاس بِخُلْـــقٍ لا تكن كلباً على الناس

=قال بعضهم: صحبت الربيعَ بن خيثم عشـرين عامـاً[3] ماسمعت منه كلمة تعاب+.[4]

6_التعميم في الذم:

فتجد من الناس من يغلب عليـه جـانب المبالغـة فـي إطلاق الأحكام، فـتراه يعمـم الحكـم فـي ذم طائفـة، أو قبيلة، أو جماعة من الناس.

وهذا التعميم قد يوقعه في الحرج دون أن يشعر؛ فقد يكون من بين الحاضرين من يتناولهم ذلـك الـذم العـام؛ فلا ينتبه المتكلم إلا بعد أن تقع الفأس بالرأس.

---

[1] () يعني شيخه ابن تيمية.
[2] () بدائع الفوائد لابن القيم 2/274_275.
[3] () بهجة المجالس 2/298.
[4] () سير أعلام النبلاء 4/259.

بل ربما عرض ذلك الذام نفسه للإساءة، فقد يسيء بصنيعه إلى شخص غضوب لايتحمل الإساءة، فيقوده ذلك إلى الانتقام والتشفي، ورد الإساءة بمثلها أو أشد.

ولهذا كان من الأهمية بمكان أن يتفطن المرء لهذا الأمر، وأن يتحفظ من سقطات لسانه، وأن يتجنب كل ما يشعر بأدنى إساءة لأحد من الحاضرين؛ فذلك أسلم له، وأحفظ لكرامته.

قال ابن المقفع: =إذا كنت في جماعة قوم أبداً فلا تَعُمَّنَّ جيلاً من الناس، أو أمة من الأمم بشتم ولا ذم؛ فإنك لاتدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك مخطئاً فلا تأمن مكافأتهم، أو متعمداً فتنسب إلى السفه.

ولا تذمن مع ذلك اسماً من أسماء الرجال أو النساء بأن تقول: إن هذا لقبيحٌ من الأسماء؛ فإنك لاتدري لعل ذلك غير موافق لبعض جلسائك، ولعله يكون بعض أسماء الأهلين والحرم.

ةلاتستصغرن من هذا شيئاً؛ فكل ذلك يجرح في القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد+.[1]

7_كثرة الأسئلة، وتعمد الإحراج فيها:

فالسؤال بحد ذاته ليس مذموم، كمن يسأل صاحبه وجليسه عن صحته، وعن حاله في الجملة؛ فهذا مما يشعر بالاهتمام والمودة.

وكذلك سؤال المرء عما يعنيه من أمر دينه، فهذا مما أمرنا به، وشفاء العيِّ السؤال، قال_تعالى_ [**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون**].(الأنبياء 7)

أما كثرة الأسئلة، والتعنت فيها، وتعمد الإحراج للمسؤول عنها_فهذا مما لاينبغي.

---

[1]() الأدب الكبير والأدب الصغير ص 162.

وذلك كحال من يسأل عما لايعنيه، وكحال من يسأل الناي عن أمورهم الخاصة، التي لايرتضون أن يطلع عليها أحد غيرهم.

قال_عليه الصلاة والسلام_: =**ويكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**+[1]

ثم إن هذا السائل قد يُوْقِعُ نفسه فيما يسوؤه، فلربما عَرَّضَ نفسه لرد موبخ مسكتٍ قال_تعالى_: [**ياأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**] (المائدة 101)

قال ابن عبدالبر×: =قال تميم بن نصر بن سيار لأعرابي: هل أصابتك تخمة؟

قال: أما من طعامك فلا+[2]

=وكان الفرزدق مرة ينشد، والكميت صبي، فأجاد الاستماع إليه، فقال: يابني، أيسرك أني أبوك؟

قال: أما أبي فلا أرى به بدلاً، ولكن يسرني أنك أمي، فأفحمه حتى عَصَّ بِرِيْقِهِ+.[3]

قال الحكيم:

ودع السؤال عن الأمور فلربَّ حافِر حفرةٍ هو [4]

8_سرعة الجواب:

فمن العيوب التي تنافي أدب المحادثة أن يتعجل المرء الجواب، فيجيبَ دون أن ينهي السائل كلامه، أو يجيب على سؤال لم يُوَجَّهْ إليه مباشرة، بل طرح في مكان عام دون أن يوجه إلى أحد بعينه.

---

[1] () رواه أحمد 2/27 ومسلم (1715) عن أبي هريرة.

[2] () أدب المجالسة وحمد اللسان، لابن عبد البر ص 101.

[3] () العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني 2/78_79.

[4] () عين الأدب والسياسة ص 277.

وأقبح مافي هذا أن يجيب المرء عن سؤال وُجِّـهَ إلـى غيره.

فهذا كلـه منـافٍ لأدب المحادثـة، ودليـل علـى الخِفَّـة والطيـش، وهـو مـن العجلـة المذمومـة، الـتي تـزري بصاحبها، وتحط من شأنه، وتورثه الزلل والندم.

قال عمر بن عبدالعزيز ×: =خصلتان لاتَعْـدَمَانك مـن الجاهل: كثرة الالتفات، وسرعة الجواب+.[1]

وقـال ابـن المقفـع: =وإذا لـم يقصـد السـائل فـي المسألة لرجلٍ واحـد، وعـم بهـا جماعـة مـن عنـده_فلا تبادرن بالجواب، ولاتسابق الجلساء، ولاتواثب[2] بالكلام مواثبةً؛ فإن ذلك يجمع مع شين التكلف والخفـة أنـك إذا سـبقت القـوم إلـى الكلام صـاروا لكلامـك خصـماء، فَتَعَقَّبُوه بالعيب والطعن.

وإذا أنـــت لـــم تعجـــل بـــالجواب، وخليتـــه للقـوم_اعترضْـت[3] أقـاويلهم علـى عينـك، ثـم تـدَبَّرْتَهَا وفكرت فيما عندك، ثم هيَّأت من تفكيرك ومحاسـن مـا سمعت جواباً رضـيّاً، ثـم اسـتدبرت بـه أقـاويلهم حيـن تصيخ إليك الأسماع، ويهدأ عندك الخصوم.

وإذا لم يبلغـك الكلام حـتى يكتفـي بغيـرك، أو ينقطـع الحديث قبل ذلك_فلا يكون مـن العيـب عنـدك، ولا مـن الغبن في نفسك فوتُ مافاتك من الجواب؛ فـإن صـيانة القـول خيـرٌ مـن سـوء وضـعه، وإن كلمـةً واحـدةً مـن الصواب تصيب موضعها خيرٌ من مائة كلمـة تقولهـا فـي غير فرصها ومواضعها.

---

[1] () عيون الأخبار 2/39.

[2] () لا تواثب: المواثبة التسرع وترك التروي.

[3] () عترضت أقاويلهم على عينك: أي تأملتها، وترويت في فهم أبعادها، وخلصت بذلك إلى حسن الإجابة.

مع أنَّ كلامَ العجلـةِ والبـدارِ موكـلٌ بـه الزلـل، وسـوء التقدير، وإنْ ظَنَّ صاحبهُ أنْ قد أتقن وأحكم.

واعلـم أن هـذه الأمـور لاتـدرك، فلا تملـك إلا بِرُحـب الذرع[1] عندما قيل ومالم يقال، وقلة الإعظام لما ظهـر من المروءة ومالم يظهر، وسخاوة النفس عن كثيرٍ من الصواب مخافة الخلاف، والعجلة، والحسـد، والمـراء+.[2]

9_الحرص على إبـداء الـرأي فـي كـل صـغيرة وكبيرة:

فمن الناس مـن يحـرص علـى إبـراز نفسـه، وإظهـار قدرته وخبرته، وإشـعار الآخريـن بحنكتـه وجـودة رأيـة، فتراه يحرص على إبداء رأيـه فـي كل صـغيرة وكـبيرة، ويتعجل ذلك فيقول به بمناسبة وبغيـر مناسـبة، وسـواء سُئل عن ذلك أم لم يُسأل.

كـل ذلـك دونمـا نظـر فـي العـواقب، أو مراعـاة المصلحة.

وهـذا الصـنيع ممـا يتنـافى مـع الحـزم، وممـا يعـرض صاحبه للزلل والخطل؛ فلا خير فـي الـرأي الفطيـر، ولا الكلام القضـيب[3]، فـالعرب تقـول: =الخطـأ زاد العجول+.[4]

فليس من الحكمـة أن يتعجـل الإنسـان إبـداء الـرأي؛ لأنه ربما جانب الصواب، وخالف الحقيقة، بل ربما قـاده

---

[1] () رحب الذرع: سعة العلم، وسعة الأفق، وقوة التبصر.

[2] () الأدب الصغير والأدب الكبير ص 122_123.

[3] () الرأي الفطير: هو الذي لم ينضج، والكلام القضيب: هو المرتجل.انظر زهر الآداب للحصري القيرواني 1/154.

[4] () مجمع الأمثال للميداني 1/431.

ذلك إلى أن يتعصب لرأيه ولو كان غير مصيب؛ كيلا يوصم بالعجلة والزلل.

بخلاف ما إذا تريث وتأنى؛ فإن ذلك أدعى لصفاء القريحة، وأحرى لأن يختمر الرأي في الذهن، وأخلق بالسلامة من الخطأ.

والعرب تمدح من يَتَرَيَّثُ، ويتأنى، ويُقلِّب الأمور ظهراً لبطن، وتقول فيه: =إنه لَحُوَّلٌ قُلَّبٌ+.[1]

بل ليس من الحكمة أن يبدي الإنسان رأيه في كل مايعلم حتى ولو كان متأنياً في حكمه، مصيباً في رأيه؛ فما كل رأي يُجهر به، ولاكل مايعلم يقال.

بل الحكمة تقتضي أن يحتفظ الإنسان بآرائه لنفسه إلا إذا استدعى المقام لذلك، واقتضته الحكمة والمصلحة؛ فآراء المرء له، وأقواله عليه؛ فإذا صرح بآرائه صار أسيراً لها، مكبلاً في أغلالها، له غنمها، وعليه غرمها.

قال أحد الحكماء: =إن لابتداء الكلام فتنةً تروق، وجدَّةً تعجب؛ فإذا سكنت القريحةُ، وعدل التأملُ، وصفت النفس_فَلْيُعِدِ النظر، وليكن فرحُه بإحسانه مساوياً لغمه بإساءته+.[2]

وقال أحد الشعراء:

وزن الكلام إذا نطقت يبدي العقولَ أو العيوبَ

وقال ابن حبان ×: =الرافق لايكاد يُسبق، والعَجِلُ لايكاد يَلْحق.

---

[1] () الأمثال لأبي عبيد ص 100.

[2] () زهر الآداب 1/154.

[3] () روضة العقلاء ص 216.

وكما أن من سكت لايكاد يندم كذلك من نطـق لايكـاد يسلم.

والعجل يقول قبـل أن يعلـم، ويجيـب قبـل أن يفهـم، ويحمد قبل أن يُجَرِّبُ، ويذم بعد مايحمد.

يعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم.

والعَجِـل تصـحبه النـدامـة، وتعـتزله السـلامة، وكـانت العرب تسمي العجلة أم الندامات+.[1]

10_التعرض للسفلة والسفهاء:

فهناك من الناس من لا يـأنف مـن مجـاراة السـفهاء، والتعرض للسفلة؛ فإذا ما جمعه بهم مجلس توسـع فـي الحديث معهم، وتمادى في مضاحكتهم وممازحتهم.

ممـا يجعلـه عرضـة لسـماع مـا لايرضـيه مـن سـاقط القول وقبيحه، فيصبح بذلك مسـاوياً لهـم فـي سـفههم وسفالتهم؛ إذ نزل إليهم، وانحط في حضيضهم.

إذا جــاريت فــي خلــقٍ فــأنت ومــن تجــاريه

فلأيـس مـن الحكمـة ولا المـروءة أن يتعـرض المـرء لهؤلاء، وإنما الحكمة وتمـام المـروءة أن يُعْـرِضَ المـرء عنهم، ويدَع مجاراتهم والحديث معهـم إلا بقـدر ماتـدعو إليه الحاجة؛ من سلام أو ردِّه، أو جواب لسؤال، أو نحـو ذلك.

لا تُرْجِعَـنَّ إلـى السـفيه إلا جــوابَ تحيــةٍ حيَّاكهــا

فمــتى تُحرِّكْــه تُحــرِّكْ حِراكهــــــــــــا[3]

---

[1] () روضة العقلاء ص 216.

[2] () ديوان أبي تمام 4/296 وانظر أقوال مأثورة ص 15.

[3] () الحلم لابن أبي الدنيا ص 32.

وإذا مـا أراد السـفيه أن يبـدأ بالسـفه فمـا أجمـل الإعراض عنه، وتجاهله؛ كي يُقصر عن غيّه وسفهه.

أعـرض عـن الجاهـل فكـل ماقـال فهـو فيـه
ماضرَّ نهر الفـراتِ يومـاً لـو خـاض بعـضُ الكلاب

فمن أعرض عـن الجـاهلين،[1] وتـرك مجـاراة السـفهاء حمى عرضه، وأراح نفسه، وسلم من سماع مايؤذيه.

قال_تعـالى [**خذ العفـو وأمـر بـالعرف وأعـرض عن الجاهلين**] (الأعراف:199).

فبـالإعراض عـن هـؤلاء يحفـظ الرجـل علـى نفسـه عزتهـا؛ إذ يرفعهـا عـن الطائفـة الـتي تَلَـذُّ المهـاترةَ والإقذاع.

قال ابن عباس_رضي الله عنهما_: =ولا تمـار حليمـاً ولا سفيهاً؛ فإن الحليم يقليك، والسفيه يؤذيك+.[2].

قال بعض الشعراء:

إني لأُعْرِضُ عـن أشـياء حتى يقولَ رجالٌ إني بـي
أخشـى جـوابَ سـفيهٍ قَسْـلٍ وظـنَّ أنـاسٍ أنـه [3]

وقالَ الخطابي: =أنشدني ابـن مالـك، قـال أنشـدني الدَّعُولي في سياسة العامة:

إذا أمـن الجهـالُ جهلـك فَعِرْضُكَ للجهال عُنمٌ من
إذا نـــــــــــــزا[4] فأنت سفيهٌ مثلُه غير ذي
ولا تتعـــرض للســـفيه بمنزلـــةٍ بيـــن العـــداوة

---

[1] () ديوان الشافعي ص 90 تحقيق الزعبي.
[2] () العزلة للخطابي ص 134_135.
[3] () عيون الأخبار 1/284.
[4] () نزا: وثب وأراد الشر.

فيخشـــــاك تـــــارات وتأخــذ فيمــا بيــن ذلــك
تـــــارات[1]

قال ابن المقفع: = واعلم أنك ستبتلي من أقوام بسفه سيطلع منك حقداً.

فإن عارضته، أو كافأته بالسفه فكأنك رضيت ما أتى به؛ فأحببت أن تحتذي على مثاله.

فإن كان ذلك عندك مذموماً فَحَقِّقْ ذمَّك إياه بترك معارضته.

فأما أن تذمه وتمتثله [2] فليس في ذلك سداد+.[3]

11_الحديث بما لا يناسب المقام:

فهناك من لا يأبه بمناسبة الحديث للمقام، ولا بملائمته ومطابقته لمقتضى حال السامعين، فتراه يتكلم بالهزل في مواقف الجد، ويحاول إضحاك السامعين في مجلس يسوده الحزن.

قال ابن المقفع: = ولا تخلطن بالجد هزلاً، ولابالهزل جداً، فإنك إن خلطت بالجد هزلاً هَجَّنْتَه، وإن خلطت بالهزل جداً كدَّرْتَه.

غير أني قد علمت موطناً واحداً إن قدرت تتقبل فيه الجد بالهزل أصبت الرأي وظهرت على الأقران.

وذلك أن يتورَّدَك [4] مُتوردٌ بالسفه، والغضب، وسوء اللفظ_تجيبه إجابة الهازل المداعب بِرُحْب من الذرع، وطلاقةٍ من الوجه، وثبات من المنطق+.[5]

---

[1] () العزلة للخطابي ص 206_207.
[2] () تمتثله: تحتذيه وتسلك طريقه.
[3] () الأدب الصغير والأدب الكبير ص 155.
[4] () يتورَّدك: يحملك على أن تغتاظ أو تغضب؛ لتتخلى عن اتزانك.
[5] () الأدب الصغير والأدب الكبير ص 133.

وقال: =واتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق، [1] ويشكر للمكتئب+.[2]

ومن الناس من يخاطب الأذكياء بخطاب لايناسب إلا قاصري العقول، وربما خاطب محدودي الذكاء والإدراك بكلام لاتدركه أفهامهم، وهكذا...

ومن كناك يفقد الكلام قيمته، ويصبح ضرباً من الهذيان، بل ربما عَرَّضَ صاحبه للمز الناس وعيبهم إياه.

وإنَّ كلامَ المرءِ في غير لكا النبل تهوي ليس فيها

بل ربما ألحق بغيره ضرراً من حيث لايشعر؛ فقد يحادث شخصاً ذا نفسٍ متوترة، مغرقة في التشاؤم، فيخاطبه على أنه إنسان سوي، فيزيد هذا الشخص توتراً، وبلاءً.

وقد يزور مريضاً، فيحدّثه بما لايناسب حاله، فيؤثر في نفس المريض، فيزيد الطين بِلّة، والمرض علة.

ولأسباب وغيرها عني الإسلام عنايةً كبيرة بموضوع الكلام، وأسلوب أدائه؛ ذلك أن الكلام الصادر عن إنسان ما_يشير إلى حقيقة عقله، وطبيعة خلقه، ولأن طرائق الحديث في جماعة ما تحكم على مستواها العام، وتغلغل الفضيلة فيها.[3]

ثم إن طرائق الكلام تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص؛ ولهذا عُرِّفت البلاغة بأنها: مطابقة الكلام لمقتضى حال السامعين.[4]

---

[1] () المنطلق: الذي يبدو الفرح على أساريره.

[2] () الأدب الصغير والأدب الكبير ص 159.

[3] () انظر خلق المسلم ص 77.

[4] () انظر بغية الإيضاح لتخليص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي 1/26.

ومن هن كان من الأهمية بما كان أن يتعرف المرء على أحوال الناس، وأن يراعي عقولهم.

فهذا الأمر دليل على جودة النظر في سياسة الأمور، وعلى حسن التصرف في تقدير وسائل الخير، وهو مما يعين على اكتساب الأخلاق الرفيعة، وعلى استبقاء المودة في قلوب الناس.

فالرجل العاقل الحازم يحكم هذا الأمر، وينتفع به عند لقائه بالطبقات المختلفة، فتراه =يَزِنُ عقولَ مَنْ يلاقونه، ويحس ماتُكِنُّ صدورُهم، وتنزع إليه نفوسهم، فيصاحب الناس، ويشهد مجالسهم، وهو على بصيرةٍ مما وراء ألسنتهم من عقولٍ، وسرائرَ، وعواطفَ.

فيتيسر له أن يسايرهم إلا أن ينحرفوا عن الرشد، ويتحامى ما يؤلمهم إلا أن يتألموا من صوت الحق.

ومراعاة عقول الناس، وطباعِهم، ونزعاتِهم فيما لايُقْعِدُ حقاً، ولايقيم باطلاً_مظهر من مظاهر الإنسانية المهذبة+.[1]

قال ابن المقفع: =لاتجالس امرأً بغير طريقته؛ فإنك إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم، والجافي بالفقه، والعيي بالبيان_لم تزد على أن تضيع علمك، وتؤذي جليسك بِحَمْلِكَ عليه ثِقَلَ ما لايعرف، وعَمِّك إياه بمثل ما يغتم به الرجلُ الفصيح في مخالطة الأعجمي الذي لايفقه عنه.

واعلم أنه ليس من علم تذكره عند غير أهله إلا عابوه، ونصبوا له، ونقضوه عليك، وحرصوا على أن يجعلوه جهلاً.

---

[1] () رسائل الإصلاح لمحمد الخضر حسين 1/95.

حتى إن كثيراً من اللهو واللعب الذي هو أخفُّ الأشياء على الناس_لَيَحْضُرُه من لايعرفه، فيثقل عليه، ويغتم به+.[2]

وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي×: =ومن الآداب الطيبة الكلام مع كل أحد بما يليق بحاله ومقامه؛ مع العلماء بالتعلم والاستفادة والاحترام، ومع الملوك والرؤساء بالاحترام والكلام اللطيف الليـن المناسب لمقامهم، ومع الإخوان والنظراء بالكلام الطيب، ومطارحة الأحاديث الدينية والدنيوية والانبساط الباسط للقلوب، المزيل للوحشة، المزين للمجالس.

ويحسن المزاح أحياناً إذا كان صدقاً، ويحصل فيه هذه المقاصد.

ومع المستفيدين من الطلبة ونحوهم بالإفادة، ومع الصغار والسفهاء بالحكايات والمقالات اللائقة بهم بما يبسطهم ويؤنسهم، ومع الأهل والعيال بالتعليم للمصالح الدينية والدنيوية، والتربية البيتية، وتوجيههم للأعمال التي تنفعهم مع المباسطة والمفاكهة؛ فإنهم أحق الناس بِبِرِّك، ومن أعظم البر حسن المعاشرة.

ومع الفقراء والمساكين بالتواضع، وخفض الجناح، وعدم الترفع والتكبر عليهم.

فكم حصل بهذا من خيرات و بركات، وكم حصل بضده من شر وفوات خير.

ومع من تعرف منه العداوة والبغضاء والحسد بالمجاملة، وعدم الخشونة، وإن أمكنك الوصول إلى أعلى الدرجات، وهي قوله_تعالى_ [**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي**

---

[2]() الأدب الصغير والأدب الكبير ص 158.

حميم] (فصلت: 34)_فما أكمله من مقام لايوفق له إلا ذو حظ عظيم+.[1]

وكما أن مطابقة الكلام لعقول الناس ومقتضيات أحوالهم عائدٌ إلى الألمعية، التي هي في أصلها موهبة إلهية_فهو كذلك يأتي بالدربة والممارسة، وتدبر سير أعاظم الرجال، والنظر في مجاري الحوادث باعتبار، فهذا مما يقوي هذه الخصلة ويرفع من شأنها.

ولئن كان مقتضى الأحوال حسناً مطلوباً من كل أحد_فهو من الخطيب حال الخطابة أولى وأحرى؛ فمراعاة مقتضى الحال هو لبُّ الخطابة وروحها، فلكل مقام مقال، ولكل جماعة من الناس لسان تُخَاطب فيه؛ فالأغنياء يرضي كبرياءهم نوعٌ من الكلام لايقتضيه مقام الخطبة لمن ليسوا كذلك.

والعلماء يجتذبهم الثناء الحسن، وطيب الأحدوثة، والتوقير، والتعظيم، وأن يكون الكلام الذي يلقى عليهم أقرب إلى العمق والسلامة؛ ليسترعي انتباههم.

ثم إن الجماعة الثائرة تخاطب بعباراتٍ هادئة؛ لتكون برداً وسلاماً على القلوب.

والجماعة الخَنِسَةُ تخاطب بعباراتٍ مثيرةٍ للحمية، موقظة للهمة، حافزة للعزيمة.

والجماعة التي شَطَّتْ وركبت رأسها تخاطب بعباراتٍ فيها قوة العزم، ونورُ الحق، وفيها إرعادة المنذر، ويقظة المنقذ، وفيها روح الرحمة، وحسن الإيثار؛ ليجتمع الترهيب مع الترغيب، ومع سيف النقمة ريحان الرحمة.

---

[1] () الرياض الناضرة ص 458_549 ضمن مجموعة ابن سعدي.

لذلك وجب على الخطيب أن يكون قادراً علـى إدراك حـال الجماعـة، ومـا تقتضـيه تلـك الحـال، والإتيـان بالأسلوب الذي يلائمها؛ ليصل إلى مواضع التأثير فيها.[1]

12_الحديث عند من لايَرْغَبُ:_

فتجد من الناس مَنْ قَدْ مَرَدَ على القِحة، وسَهُل عليـه الهوانُ، فتراه يبذل نفسه للناس، فيتصدر الحـديث فـي مجالسهم، وهم عنه لاهـون، ولـه مسـتثقلون، ولحـديثه غير راغبين.

ومع ذلك يستمر في جهله وغيه.

وهذا لاينبغي ولا يحسن من ذي المروءة.

=قال مُطرّف: لاتطعم طعامك من لايشتهيه+.[2]

يريد لاتقبل على من لايقبل عليك بوجهه.

وقال أبو عبّاد: =ينبغي للمحدِّث إذا أنكر من السـامع أن يستفهمه عن معنى حديثه، فإن وجده قد أخلـص لـه الاستماع أتـم لـه الحـديث، وإن كـان لاهيـاً عنـه حرمـه حسن الاستقبال عليه، ونفع المؤانسة له، وعَرَفه بسـوء الاستماع والتقصير في حق المحدِّث+.[3]

وقال: =نشاط المحدث على قدر فهم السامع+.[4]

وكـان ابـن مسـعود ÷ يقـول: =حـدِّثِ النـاسَ مـا حدّجوك[5] بأسماعهم، ولحظوك بأبصـارهم، فـإن رأيـت منهم فتوراً فأمسك+.[6]

---

[1] () انظر الخطابة لأبي زهرة ص 43 و 45_46.
[2] () عيون الأخبار 1/307.
[3] () زهر الآداب للحصري 1/195.
[4] () زهر الآداب للحصري 1/195.
[5] () حدَّجوك: وجهوها نحوك.
[6] () زهر الآداب 1/195.

وقال البيحاني: =وإذا رأيت من جليسك الإعراض عنك، أو الاشتغال بأمرٍ آخر فلا تكلمه، ولاتكلفه الاستماع إليك+.[1]

وقال أحدهم:

يستوجب الصَّفْعَ في واحدٍ منهم إذا لالومَ

ثم ذكر منهم:

ومتحفٌ بحديث غير وداخلٌ في حديث اثنين

ولايدخل في ذلك كراهيةُ الفساق والمجرمين لحديث الداعي إلى الله، والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، خصوصاً إذا كان لطيفاً حكيماً؛ فالعيب ليس فيه وإنما هو فيهم.

وما على العنبر الفَوَّاح أنْ ماتَ من شَمِّهِ الزّبّالُ

13_تكرار الحديث:

فهذا من عيوب الكلام، وهو مما يورث الملامة، ويولد السآمة.

وهناك من يذكر الحادثة أو القصة في المجلس الواحد مرات عديدة.

وهناك من يكرر كلامه كثيراً بلا مسوغ، مما يجعل الأذواقَ تَمُجُّهُ، والآذان تَسْتَكُّ من سماعه.

= قال محمد بن صبيح المعروف بالسماك لجاريته: كيف ترين ما أعظ الناس ؟

قالت: هو حسن، إلا أنك تكرره.

قال: إنما أكرره؛ ليفهمه من لم يكن فهمه.

---

[1] () إصلاح المجتمع للبيحاني ص 360.

[2] () إصلاح المجتمع للبيحاني ص 360.

قـالت: إلـى أن يفهمـه البطيـء يثقـل علـى سـمع الذكي+.[1]

= واستعيد[2] ابن عباس حديثاً فقال: لو لا أني أخاف أن أغـضَّ مـن بهـائه، وأريـق مـن مـائه، وأَخْلِـقَ مـن جِدَّتِه_لأعَدْتُه +.[3]

وقال أبو تمام يصف قصائده:

منزهـــة عـــن السَّـــرِق ... مكرمـــة عـــن المغنـــى[4]

وقال الآخر:

إذا تحـــدثت فـــي قـــوم؛ ... من الحـديث بمـا يمضـي

فلا تُكَـــرِّرْ حـــديثاً إن ... وَكَّلٌ بمعاداة المعـادات[5]

أما إذا احتيج إلى التكرار، وكان فيه زيادة فائـدة، ولـم يكن موصلاً إلى حد الملال_فلا بأس به.

14_التعالي على السامعين:

فمن الناس من إذا تحـدث إلـى أنـاس تعـالى عليهـم، وأزرى بهم.

وربما أشـعر_ولـو مـن طـرف خفـي_بـأن السـامعين لايعون كلامه، ولايدركون مراميه.

بل ربمـا تَلَمَّـظَ برطانـة الأعـاجم، وأدرجهـا فـي ثنايـا حديثه بلا داع لذلك، وإنما قالها ليترفع علـى السـامعين، وليظهر فضله عليهم!.

---

[1] () زهر الآداب 1/196.
[2] () استعيد: طلب منه إعادته.
[3] () زهر الآداب 1/196.
[4] () ديوان أبي تمام بشرح التبريزي 1/382.
[5] () إصلاح المجتمع ص 360.

والتعالي على الآخرين دليل السفه، وآية نقص العقل، وإلا فالكريم العاقل يرفع من شأن الآخرين، ولايترفع أو يتعالى عليهم.

قال ابن المقفع: =تَحَفَّظْ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب، وطِبْ نفساً عن كثيرٍ مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي؛ مداراةً؛ لئلاَّ يظن أصحابك أن دأبك التطاول عليهم+.[1]

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي×: =واحذر غاية الحذر من احتقار من تجالسه من جميع الطبقات، وازدرائه، والاستهزاء به قولاً، أو فعلاً، أو إشارةً أو تصريحاً، أو تعريضاً؛ فإن فيه ثلاثةَ محاذير:

أحدها: التحريم، والإثم على فاعل ذلك.

الثاني: دلالته على حمق صاحبه، وسفاهة عقله، وجهله.

الثالث: أنه باب من أبواب إثارة الشر، والضرر على نفسه+.[2]

15_ترك الإصغاء للمتحدث:

وذلك بمقاطعته، ومنازعته الحديث، أو بالتشاغل عنه بقراءة جريدة، أو كتاب، أو متابعة متحدث آخر.

ومن ذلك الإشاحة بالوجه عن المتحدث، أو إجالة النظر عنه يمنة ويسرة.

كل ذلك مما ينافي الأدب في المحادثة، ومما يدل على قلة المروءة.

---

[1] () الأدب الصغير والأدب الكبير ص 134.

[2] () الرياض الناضرة ص 419.

فينغي للمرء أن يتجافى عن هذا الخلـق الـذميم، وأن يحسن الأدب مع من يَتَقَصّدُه بالحديث، ومع مـن يتحـث أمامه.

فمن أدب المروءة حسن إصـغاء الرجـل لمـن يحـدثه من الإخوان؛ فإن إقباله على محدثه بالإصغاء إليـه يـدل على ارتياحه لمجالسته، وأنسه بحديثه.[1]

بل إن المتحدث البارع هو المسـتمع البـارع؛ فأحسـن الاستماع، ولاتقاطع من تحادثه، بل شجعه على الحديث بحسن إنصاتك؛ كي يقابلك بالمثل.

وبراعة الاستماع تكون بالإذن، وطرف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه.[2]

قال ابن عباس_رضي الله عنهمـا_: =لجليسـي علـى ثلاث: أن أرميـه بطرفـي إذا أقبـل، وأن أوسـع لـه فـي المجلس إذا جلس، وأن أصغي إليه إذا تحدث+.[3]

وقال عمرو بن العـاص ÷: =ثلاثـة لاأمَلُّهـم: جليسـي مــافهم عنــي، وثــوبي ماســترني، ودابــتي مــاحملت رجلي+.[4]

وقـال سـعيد بـن العـاص: =لجليسـي علـيَّ ثلاث: إذا أقبـل وسّـَعْتُ لـه، وإذا جلـس أقبلـت إليـه، وإذا حَـدَّثَ سمعتُ منه+.[5]

---

[1] () انظر رسائل الإصلاح 1/212.
[2] () انظر كيف تحاور د.طارق الحبيب ص 21.
[3] () عيون الأخبار 1/306.
[4] () عيون الأخبار 1/307.
[5] () المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي، انتقاء أبي الطاهر السلفي ص 54.

وقال الحسن: =إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتَعَلَّمْ حسن الاستماع كما تَعَلَّمُ حسن القول، ولاتقطع على أحد حديثه+.[1]

وقال أبو عباد: =للمحدِّث على جليسه السامع لحديثه أن يجمع له باله، ويصغي إلى حديثه، ويكتم عليه سره، ويبسط له عذره+.[2]

=وذكر رجل عبدالملك بن مروان فقال: إنه آخذ بأربع، تارك لأربع: آخذ بأحسن الحديث إذا حَدّث، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأحسن البشر إذا لُقي، وبأيسر المؤونة إذا خولف.

وماكان تاركاً لمحادثة اللئيم، ومنازعة اللجوج، ومماراة السفيه، ومصاحبة المأبون[3]+.[4]

=وذكر الشعبيُّ قوماً، فقال: مارأيت مثلهم أشدَّ تناوباً في مجلس، ولا أحسن فهماً من محدث+.[5]

16_الاستخفاف بحديث المتحدث:

فمن الناس من إذا سمع متحدثاً يتحدث في مجلس، وبدر من ذلك المتحدث خطأ يسير أو نحو ذلك_سفّهه، وبكّته، واستخف بحديثه.

ومن هذا القبيل مايوجد عند بعض الناس، فما أن يتكلم أحد في مجلس إلا وتبدأ بينهم النظرات المريبة، التي تحمل استخفافاً وسخرية بالمتحدث.

وهذا الصنيع لايحسن أبداً، وليس من صفات عظماء الرجال وأكابرهم؛ فهم يُجلّون من يحدثهم، ولايرضون

---

[1] () المنتقى من مكارم الأخلاق ص 155.
[2] () زهر الآداب 1/195.
[3] () المأبون: المتهم بالسوء والذي يرمى بالقبيح.
[4] () عيون الأخبار 1/307.
[5] () عيون الأخبار 1/308.

بإهانته في حضرتهم طالما أنه لم يَحِدْ عن الرشد، حتى ولو أخطأ؛ فإنهم يتغاضون عن خطئه، ويتعامون عن زَلَّتِه، وإذا ماكان الخطأ كبيراً فإنهم يبينون الخطأ، ويرشدون إلى الصواب بأجمل عبارة، وألطف إشارة.

قال ابن حبان×: =أنبأنا أبو يعلى حدثنا عبدالله بن حمد بن أسماء، حدثنا مهدي بن ميمون، حدثنا معاذ بن سعد الأعور قال: كنت جالساً عند عطاء ابن أبي رباح، فحدث رجل بحديث، فعرَّض رجل من القوم في حديثه.

قال: فغضب، وقال: ماهذه الطباع؟ إني لأسمع الحديث من الرجل، وأنا أعلم به، فأريه كأني لاأحسن شيئاً+.[1]

17_المبادرة إلى إكمال الحديث عن المتحدث:

فهناك من إذا تحدّث أحد أمامه بحديث، أو قصة، أو خبر، وكان يعلم ذلك من قبل_بادر إلى إكمال ذلك عن المتحدث، إما بقصد الإساءة إليه، وإما بإشعاره وإشعار السامعين بأن حديثه معاد مكرور، وإما ليبين أنه يعلم ذلك من قبل.

وهذا ليس من صفات ذي المروءة؛ إذ المروءة تقتضي أن تنصت للمتحدث ولو كنت تعلم حديثه من قبل.

قال المدائني: =أوصى خالد بن يحي ابنه فقال: يابني، إذا حدّثك جليسك حديثاً فأقبل عليه، وأصغِ إليه، ولاتقل قد سمعته_وإن كنت أحفظ له_وكأنك لم تَسمعه إلا منه_؛ فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك+.[2]

---

[1] () روضة العقلاء ص 72، وانظر صفة الصفوة لابن الجوزي 2/144.

[2] () بهجة المجالس 1/43، وانظر تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة ص 156_157.

وقال ابـن سـعدي: =ومـن الآداب الطيبـة إذا حـدّثك المحدِّث بأمر ديني أو دنيوي ألا تنازعه الحديث إذا كنـت تعرفه، بل تصغي إليه إصغاء من لايعرفه، ولم يَمُرَّ عليه، وتريه أنك استفدت منه، كما كان أَلَبَّاءُ الرجال يفعلونه.

وفيه من الفوائد تنشـيط المحَـدِّث، وإدخـال السـرور عليه، وسلامتك من العجب بنفسك، وسلامتك من سـوء الأدب؛ فـإن منازعـة المحـدث فـي حـديثه مـن سـوء الأدب+.[1]

وإلى هذا المعنى الجميل يشير أبوتمام بقوله:

مـــن لـــي بإنســـان إذا وجهلـت كـان الحلـمُ ردَّ
وتـراه يصـغي للحـديث وبقلبه ولعلـه أدرى بـه[2]

قال ابن المقفع: =وإذا رأيت رجلاً يحـدِّث حـديثاً قـد علمته، أو يخبر خـبراً قـد سـمعته_فلا تشـاركْه فيـه، ولا تَتَعَقَّبْهُ عليه؛ حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمتـه؛ فإن في ذلك خِفَّةً، وسوء أدب، وسخفاً+.[3]

وقـال: =ومـن الأخلاق الـتي أنـت جـدير بتركهـا_إذا حَدّث الرجل حديثاً تعرفه ألا تسابقه إليه، وتفتحه عليـه، وتشاركه فيـه؛ حـتى كأنـك تظهـر للنـاس أنـك تريـد أن يعلموا أنك تعلم مثل الذي يعلم.

وما عليك إلا أن تُهنئه بذلك، وتفرده به.

وهـذا البـاب مـن أبـواب البخـل، وأبـوابه الغامضـة كثيرة+[4]

---

[1] () الرياض الناضرة ص 548.
[2] () أقوال مأثورة ص 285 عن طرائق الحكمة 1/73.
[3] () لأدب الكبير والأدب الصغير ص 136.
[4] () الأدب الكبير والأدب الصغير ص 162.

قال ابن عبدالبر×: =ومن سوء الأدب في المجالسة أن تقطع على جليسك حديثه، وأن تبتدره إلى تمام ماابتدأ به منه خبراً كان أو شعراً تتم له البيت الذي بدأ به؛ تريه أنك أحفظ له منه، فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه+.[1]

وقال ابن جريج عن عطاء: =إن الرجل ليحدِّثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد+.[2]

18_القيام عن المتحدّث قبل أن يكمل حديثه:

فهذا من قلة الأدب، ومما ينافي إكرام الجليس، فلا يسوغ للمرء أن يقوم عن المتحدث قبل أن يكمل حديثه؛ لما في ذلك من استجلاب الضغينة، واحتقار المتحدِّث إلا إذا احتاج السامع للقيام، واستأذن من محدِّثه_فهنا ينتفي المحذور.

قال أبو مجلز: =إذا جلس إليك رجل يَتَعَمَّدُك فلا تقم حتى تستأذنه+.[3]

وقال أسماء ابن خارجة: =ماجلس إليَّ رجل إلا رأيت له الفضل عليَّ حتى يقوم عني+.[4]

19_المبادرة إلى تكذيب المتحدّث:

فمن الناس من إذا طرق سمعه كلامٌ غريب من متحدِّث ما_بادر إلى تكذيبه، وتفنيد قوله، إما تصريحاً، أو تلميحاً، أو إشارةً باليد أو العين، وأن يهمز من بجانبه؛ ليشعره بأن المتحدِّث كاذب.

---

[1] () بهجة المجالس 1/162.
[2] () سير أعلام النبلاء 5/86، وتذكرة السامع والمتكلم ص 157.
[3] () المنتقى من مكارم الأخلاق ص 153.
[4] (4) المنتقى من مكارم الأخلاق ص 153.

فهذا العمل من العجلة المذمومة، ومن إساءة الظـن بمن يتحدّث، وهو مما ينافي كمال الأدب والمروءة.

فينبغـي لمـن اسـتمع حـديثاً مـن أحـد ألا يبـادر إلـى تكذيبه، بل عليـه أن يُنصـت لـه، وإن رأى فـي هـذا فـي الحديث وجهَ غرابةٍ فلا يستعجل الحكـمَ عليـه بالكـذب، بل يستفصل من المتحدِّث، لعله يُبين له وجهته وأدلته.

ثم إن تأكد من كذبه فلينصح له على انفراد؛ لئلا يعـاود الكذب مرةً أخرى.

فإن عاد إليـه، واقتضـت المصـلحة أن يُـبيَّن كـذبه_فلا بـأس حينئـذ مـن ذلـك؛ حـتى يرتـدع مـن تلـك الخصـلة الذميمة.

قال عبدالله بن عمرو بن العاص_رضي اللـه عنهمـا_: =ثلاثـة مـن قريـش أحسـنها أخلاقـاً، وأصـبحها وجوهـاً، وأشدها حياءً، إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم بحـق أو باطـل لـم يَكْـذِبوك، وإن حـدَّثتهم بحـق أو باطـل لـم يُكذِّبوك: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة ابن الجراح+.[1]

20_التقصير في محادثة الصغار:

فلمحادثـة المربـي صـغارَه فائـدةٌ عظمـى، وللحـوار الهـادئ معهـم أهميـة كـبرى، ولتعليمهـم آداب الحـديث وطرائقـه وأسـاليبه ثمـرات جُلّـى؛ فبـذلك ينمـو عقـل الصغير، وتتوسع مداركه، ويزداد رغبةً في الكشـف عـن حقائق الأمور، ومجريات الأحداث.

كما أن ذلك يكسبه الثقة فـي نفسـه، ويـورثه الجـرأة والشـجاعة الأدبيـة، ويشـعره بالسـعادة والطمأنينـة، والقوة والاعتبار.

---

(1) عيون الأخبار 3/23.

مما يعده للبناء والعطاء، ويؤهله لأن يعيش كريماً شجاعاً، صريحاً في حديثه، جريئاً في طرح آرائه.

ومع أهمية هذا الأمر وعظم فائدته إلا أن هناك تقصيراً كبيراً فيه؛ فكثير من الناس لا يأبه بمحادثة الصغار ولا يلقي بالاً لتعليمهم آداب الحديث و أساليبه؛ فتراه لايصغي إليهم إذا تحدثوا، ولايجيب عن أسألتهم إذا هم سألوا، بل ربما كذّبهم إذا أخبروا، ونهرهم وأسكتهم إذا تكلموا.

وهذا من الخلل الفادح، والتقصير الكبير؛ فهذا الصنيع مما يولِّد الخوف في نفس الصغير، كما يورثه التردد، والذلة، والمهانة، والخجل الشديد، وفقدان الثقة بالنفس.

بل قد يجر له أضراراً تؤثر في مستقبله ومسيرة حياته؛ فقد يعجز عن الكلام، وقد يصاب بعيوب النطق من فأفأة، وتمتمة، ونحوها.

وقد يصاب بمرض، وقد يعاني من مشكلات فيزداد مرضه، وتتضاعف مشكلاته؛ بسبب عجزه عن الإخبار عما أصابه وألمَّ به.

وقد يُظلَم أو توجه له تهمة، فيؤخذ بها مع أنه بريء منها؛ لعجزه عن الدفاع عن نفسه، وعن نفي ماعلق وألصق به.

وقد تضطره الحال لأن يتكلم أمام زملائه، فيرى أن الألفاظ لاتسعفه؛ فيشعر بالنقص خصوصاً إذا وُجد من يسخر منه.

ولهذا كان حرياً بالمربين_من والدين ومعلمين وغيرهم_أن يعنوا بهذا الجانب، وأن يرعوه حق رعايته.

فيحسن بهم إذا خاطبهم الصغار أن يُقبلوا عليهم، وأن يصغوا إلى حديثهم، وأن يجيبوا عن أسئلتهم، وأن ينأوا عن كل مايشعر باحتقار الصغار وازدرائهم.

كما يحسن أن يُشعر الصغير بأهمية حديثه، وأن يظهر له الإعجاب وحسن المتابعة، وذلك بإصدار بعض الأصوات أو الحركات التي تنم عن ذلك، كأن يقول الكبير وهو يستمع لصغيره: حسن، جميل، رائع، نعم.

أو أن يقوم بالهمهمة، أو تحريك الرأس تصعيداً وتصويباً.

بل تحسن المبادرة في هذا الأمر، كأن يعمد الكبير لاستشارة صغيره كي يتكلم، كأن يسأله بعض الأسئلة اليسيرة التي يعرفها الصغير، فيقول_على سبيل المثال_: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وأن يسأله عن بعض الأمور التي يراها أو يعلمه من خلال حياته اليومية.

كذلك يجمل في هذا الشأن استشارة الصغير في بعض الأمور اليسيرة؛ من باب شحذ قريحته، واستخراج مالديه من أفكار، وإعانته على التعبير عنها.

كأن يسأله عن رأيه في أثاث المنزل، أو لون السيارة، أو عن زمان الرحلة، أو مكانها، أو نحو ذلك.

ثم يوازن بين رأي الصغير وآراء إخوانه و زملائه، ثم يطلب من كل واحد أن يبدي مسوغاته، وأسباب اختياره لهذا الرأي أو ذاك.

فكم في مثل هذه الأمور اليسيرة من الأثر العظيم والثمرات الجليلة.

إن تدريب الصغير على أدب المحادثة، وتعويده على الحوار الهادئ والمناقشة الحـرة_يقفز بالمربين إلى

قمة التربية والبناء؛ فبسبب ذلك ينطلق الطفل، ويستطيع التعبير عن آرائه، والمطالبة بحقوقه، فينشأ حراً كريماً أبيّاً، فيكون في المستقبل ذا حضورٍ مميز، ويكون لآرائه صدىً في النفوس؛ لأنه تربى منذ الصغر على آداب الحديث وطرائقه.

ثم إن هذا مما يشعر الصغار بقيمتهم، ومما يستثيرهم لتحريك أذهانهم، وشحذ قرائحهم، وتنمية مواهبهم.

كما أن فيه تدريباً لهم على حسن الاستماع، والقدرة على ترتيب الأفكار، وحسن الاسترجاع لما مضى، وفهم مايلقى عليهم من الآخرين.

كما أن فيه تنميةً لشخصية الصغير، وتقويةً لذاكرته.

كما أن ذلك يزيده قرباً ومحبةً لوالديه ومربيه.

هذا وقد وُجِد أن الأطفال الأذكياء يتكلمون أسرع من الأطفال الأقل ذكاءً، ووجد أن الأطفال المحرومين عاطفياً، والذين لايكلمهم آباؤهم وأمهاتهم إلا نادراً_أنهم يكونون أقلّ قدرةً على الكلام من الذين يلاطفه والدوهم.

وليس المقصود مما مضى أن يُسرفَ في إعطاء الحرية المطلقة للصغير، فيلقي له الحبل على الغارب، ويفتح الباب على مصراعيه، فيسمح له بالصفاقة والوقاحة، ويُرضى عن تطاوله وإساءته، ويُضحك له إذا صدر منه عباراتٌ نابية أو كلمات ساقطة؛ زعماً أن ذلك من باب إعطائه الفرصة وتدريبه على الكلام!.

لا، ليس الأمر كذلك؛ فالرضا عن سفاهته وتطاوله يغريه بقلة الأدب، والضحك له حال صدور الكلمات القبيحة منه يعد حافزاً له بتكرارها.

فالمقصود أن يؤخذ بيده إلى الآداب المرعية، وأن يدرب على الكلام في حدود الأدب واللياقة بعيداً عن الإسفاف والصفاقة.[1]

21_الوقعية في الناس:

فهناك من إذا جلس مجلساً وقع في الناس، ورتع في أعراضهم، وأطلق لسانه في ذمهم وعيبهم، غيبة، ونميمة، وافتراءً، وبهتاناً.

فالغيبة هي كما قال النبي "=**ذكرك أخاك بما يكره**+.[2]

والنميمة هي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد.

وهما لا يصدران إلا من نفسٍ مهينة، دنيئة، وضيعة؛ فكم فسد بسببهما من صدًاقة، وكم تَقَطَّعَتْ من أواصر، وكم تحاصَّت من أرحام.

وإن مما يزيد الطين بلة أن تجد الغيبة والنميمة آذاناً مصيخة، وأفئدة مصغية.

فمن أصاخ السمع، وأصغى الفؤاد لمن ينم أو يغتاب_فهو مشارك له في الإثم.

ومن أطاع الوشاة وصدقهم فيما يقولون_فلن يبقى له صديق ولو كان أقرب قريب.

ومن يطع الواشين صديقاً ولو كان الحبيب

لا[3]

---

[1](1)انظر تربية الأطفال في رحاب الإسلام لمحمد الناصر وخولة درويش ص 323_325، ومشكلات تربوية في حياة طفلك لمحمد رشيد العويد ص 37_41.

[2]() رواه مسلم (2589) عن أبي هريرة.

[3]() ديوان الأعشى ص 9.

وهناك من يطلق لسانه في أعراض الناس يلتقط معايبهم، أو يختلق لهم معايب من تلقاء نفسه، متخيلاً أنه يحظى باسم المروءة من إلصاق العيب بغيره.

والعرب تقول: =فلان يتمرأ بنا+أي يطلب المروءة بنقصنا وعيبنا.

أما صاحب المروءة الصادقة فيبخل بوقته عن هذه الطوية الحقيرة، ولا يرضى إلا أن يشغله بما تتقاضاه المروءة من حقوق.[1]

وأجرأ من رأيت بظهر ... على عيب الرجال ذوو المروءة[2]

قال الشافعي×:

المرء إن كان عاقلاً ... أشغله عن عيوب غيره

كما العليل السقيم ... وَجَعُهُ[3]

=وربما اضطر صاحب المروءة أن يدافع شر خصومه الكاشحين بذكر شيء من سقطاتهم، ولكن المروءة تأبى عليه أن يختلق لهم عيباً يقذفهم به، وهم منه براء؛ فإن الإخبار بغير الواقع يُقَوّض صرح المروءة، ولا يبقى لها عيناً ولا أثراً+[4]

22_التسرع في نشر الأخبار قبل التثبت منها ومن جدوى نشرها:

فمن الناس من إذا سمع خبراً طار به كل مطار، وسعى في نشره وبثِّه بين الناس، قبل أن يتثبت من صحته ومن جدوى نشره.

---

[1]) انظر رسائل الإصلاح 2/211.

[2] (1) عيون الأخبار 2/14.

[3] (2) ديوان الشافعي، ص 56تحقيق الزعبي.

[4] (3) انظر رسائل الإصلاح 1/211_212.

وهـذا مـن الأخطـاء الكـبيرة الـتي يحصـل بسـببها الاختلاف والافتراق.

فالعاقل اللبيب لايتكلم إلا إذا تثبت مـن صـحة كلامـه، فإذا ثبت لديه صحة الكلام نظر في جدوى نشـره؛ فـإن كـان فـي نشـره حفـز للخيـر واجتمـاع وألفـة_نشـره وأظهره، وإن كان الأمر بخلاف ذلك كتم الأمر وستره.

ولقد ورد النهي أن يحدّث المرء بكل ما سمع.

قال النبي"=**كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكل ما سمع**+.[1]

23_الكذب:

فما أكثر الكذب في مجالس النـاس ومنتـدياتهم، ومـا أقل الصدق بينهم في معاملاتهم وعلاقاتهم.

فمن الناس من قد ألف الكذب، ومرد عليه، فلا يخجل مـن نسـج الأباطيـل، ولا يـأنف مـن اختلاق الأقاويـل، لاتردعه تقوى، ولايزمُّه دين أو مروءة.

فإذا حضر مجلساً أطلق لسانه بالكـذب، فـتراه يـأتي بالغرائب، ويغرب في العجائب، ويسوق مالا يخطر على بال، ولا يدور حول ما يشـبهه خيـال؛ كـل ذلـك لأجـل أن يُسْـتَظْرَفَ ظلُّـه، ويُسْـتَطْرَفَ حـديثُه، ويرغـب فـي مجلسه.

بل ربما ادّعى الفضل، وتشدق بكثرة الأعمـال، والـبر والإحسان إلى الناس مع أنـه عاطـل مـن ذلـك كلـه، فلا فضل لديه، ولا خير يصـدر منـه، وإنمـا قـال ذلـك ادعـاءً وتظاهراً، ومجاراةً لأهل الفضل.

وغير خافٍ أن الكـذب عمـل مـرذول، وصـفة ذميمـة؛ فهو خصلة من خصال النفاق، وشعبة من شعب الكفـر،

---

[1] (4) رواه مسلم (5)عن أبي هريرة.

وهو سبب لنزع الثقة من الكاذب، والنظر إليه بعين الخيانة، وهو سبب لدخول النار، وحرمان الجنة.

قال_عليه الصلاة والسلام_: =**وإياكم والكذب، فإن الكذب يهي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**+.[1]

ثم إنه دليل على ضعة النفس، وحقارة الشأن، وسقوط الهمة.

قيل في ذم الكذب:

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير الرجال[2]

وقيل في ذم الكذوب: =ليس لكذوب مروءة، ولا لضجور رياسة+.[3]

24_سماع كلام الناس بعضهم ببعض وقبول ذلك دون تمحيص أو تثبت:

فكما أن هناك من يكذب ويتعمد الكذب، وهناك من يتسرع في نشر الأخبار قبل التثبت منها ومن جدوى نشرها_فهناك من يخطئ فيقبل ما ينقل إليه على عِلاّتِه، دونما تمحيص أو تثبت، ثم يبني على ذلك مواقف عملية، فيصدر لأجله أحكاماً، ويعقد عليه ولاءً وبراءً.

مع أنه لو مَحّصَ الخبر، وكشف جَليّة الأمر_لربما استبان له أن الصواب مجانب لما بلغه، أو أن الأمر زِيْدَ فيه ونُقِص، وغُيِّر عن وجهته.

---

[1] () رواه البخاري 7/95 ومسلم(2607) عن ابن مسعود.

[2] () أدب الدنيا والدين ص 261.

[3] () المحاسن والمساوئ ص 443.

فكم جر ذلك الأمر من ويلات، وكم أفسد من مودات، وكم أغرى من عداوات.

قال الشيخ_عبدالرحمن بن سعدي×: =من الغلط الفاحش الخطر قبول قول الناس بعضهم ببعض، ثم يبني عليه السامع حباً وبغضاً، ومدحاً وذماً.

فكم حصل بهذا الغلط من أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكلية، أولها بعض الحقيقة فنُمِّيت بالكذب والزور، وخصوصاً ممن عُرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عُرف عنهم الهوى.

فالواجب على العاقل التثبتُ والتحرز، وبهذا يعرف دين المرء ورزانته وعقله+.[1]

25_رفع الصوت:

فهناك من إذا أراد التحدث مع غيره بالغ في رفع صوته من غير حاجةٍ أو داعٍ إلى ذلك.

وهذا مما ينافي أدب الحديث.

قال_تعالى_: [**واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**] (لقمان: 19).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: [**واغضض من صوتك**] : =أي لا تبالغ في الكلام، ولاترفع صوتك فيما لافائدة فيه؛ ولهذا قال: [**إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**].

وقال مجاهد وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير.

أي غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير في علوه، ورَفْعِه، وهو مع هذا بغيض إلى الله.

---

[1]() الرياض الناضرة ص 209.

وهذا التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه، وذمه غاية الذم+.[1]

وقال ابن سعدي في تفسير الآية السابقة [**واغضض من صوتك**] : =أدباً مع الناس، ومع الله، [**إن أنكر الأصوات**] أي أفظعها وأبشعها، [**لصوت الحمير**] فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة لما اختص الحمار بذلك، الذي علمته خسته وبلادته+.[2]

26_الغلظة في الخطاب:

فتجد من الناس من هو غليظ القلب، ذو فظاظة، وكزازة، فإذا خاطب الناس أغلظ لهم في القول، وجابههم بالعنف، وواجههم بالشدة.

وتجد من الناس من يذهب في الإنكار على من يراه مبطلاً مذهب الفظاظة في القول، فيرميه باللعن والشتائم.

مما يبذر الشقاق الذي نهينا عنه، بل ربما حمل المبطل على التعصب لرأيه، وقبض عليه باليمين وبالشمال.

وهذا السلوك لا ينبغي؛ وذلك بسبب ما يفضي إليه من شر، وعداوة، ومباغضة.

فالناس يعرفون أن طريقة السباب إنما يسلكها العاجز عن إقامة الحجج الدامغة، ولهذا ترى المقال الذي يحرر في سعة صدر وأدب مع المخالف_يجد من القبول وشد الأثر في النفس مالا يجده المقال الذي يخالط السفه والحماقة.

---

[1] () تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3/430.

[2] () تيسير الكريم الرحمن 6/160.

فـالكلام الطيـب العـفُّ اللّيـن يجمـل مـع الأصـدقاء والأعداء جميعاً، وله ثماره الحلوة، وظلاله الوارفة.

فأمـا مـع الأصـدقاء فهـو يحفـظ مـودتهم، ويسـتديم صداقتهم، ويمنع كيد الشيطان أن يوهي حبالهم، ويفسد ذات بينهم؛ فالشيطان متربص ببني آدم، يريـد أن يوقـع بينهم العداوة، والبغضاء، وأن يجعل مـن النـزاع الحقيـر عراكاً دامياً.

ولن يسد الطريق أمامه كالقول الجميل.

وأمـا حسـن الكلام مـع الأعـداء فهـو يطفـئ نـار الخصومة، ويكسر حدة العداوة، أو هو على الأقل يوقف تطورَ الشرِّ، واسْتِطَارَ الشَرَر.[1]

فيا لله كم للكلمة الطيبة من أثرٍ في النفس، وكم لهـا من وقعٍ عظيمٍ في القلب، فكم من مودةٍ استجلبت بها، وكم من عداوةٍ مغراةٍ وئدت بسببها.

قال_تعـالى_: [**وقل لعبـادي يقولـوا الـتي هـي أحسن إن الشـيطان ينـزغ بينهـم إن الشـيطان كان للإنسان عدواً مبيناً**] (الإسراء: 53).

قال ابن كثير× في تفسير هذه الآيـة: =يـأمر_تبـارك وتعالى_عبده ورسوله_"أن يأمر عباد الله المـؤمنين أن يقولـوا فـي مخـاطبتهم ومحـاوراتهم الكلامَ الحسـنَ، والكلمة الطيبة؛ فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشـيطان بينهـم، وأخـرج الكلام إلـى الفعـال، ووقـع الشـرُّ، والمخاصمةُ، والمقاتلة؛ فإنه عدو لآدم وذريته مـن حيـن امتنع من السجود لآدم، وعداوتُه ظاهرة بينه+[2]

---

[1]() انظر خلق المسلم ص 80، والدعوة إلى الإصلاح لمحمد الخضر حسين ص 54.

[2]() تفسير القرآن العظيم 3/45.

وقال_تعالى_: [**وقولوا للناس حسناً**] (البقرة: 83)

قال ابن سعدي في تفسير هذه الآية: =ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لايسع الناس بماله أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول؛ فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح حتى للكفار+.[1]

وإذا كان لين الكلام يجمل مع كل أحد_فَلَأنْ يجمل مع من له حق، أو جاه، أو رياسة من باب أولى؛ فمخاطبة هؤلاء باللين أمر مطلوب شرعاً، وعقلاً، وفطرةً، وهكذا كان النبي" يخاطب رؤساء العشائر والقبائل.[2]

قال_تعالى_لموسى_عليه السلام_عندما بعثه إلى فرعون: [**اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى**] (طه: 44، 23)

وقال_عز وجل_في الآية الأخرى: [**اذهب إلى فرعون إنه طغى، فقل هل لك أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى**] (النازعات: 17_19)

قال ابن القيم×: =وتأمل لامتثال موسى لما أُمِر به كيف قال لفرعون: [**هل لك إلى أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى**] فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض لامخرج الأمر، وقال: [**إلى أن تزكى**] ولم

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن 1/73.

[2] () انظر بدائع الفوائد لابن القيم 3/132.

يقل: إلى أن أزكيك، فنسب الفعل إليه هو، وذكـر لفـظ التزكي دون غيره؛ لما فيه من البركة، والخير، والنماء.

ثم قال: [**وأهديك إلـى ربـك**] أكـون كالـدليل بيـن يديك، والذي يسير أمامك.

وقال: [**إلى ربك**] استدعاءً لإيمانه بربه الذي خلقـه، ورزقه ورباه بنعمه صغيراً وكبيراً+.[3]

ولولا أن هذه الكلمـات النيـرات المباركـات الطيبـات التي تأخـذ بـاللب، وتنفـذ إلـى شـغاف القلـب لـولا أنهـا وجــدت قلبــاً قاســياً، عاســياً، مــارداً علــى الكفــر والطغيان_لأثّرت به، وقادته إلى الهدى والرشاد.

وكذلك قول إبراهيم الخليل لأبيه: [**يا أبت لـم تعبـد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا، يا أبت إني قد جاءني من العلـم مـا لـم يأتـك فـاتبعني أهدك صراطاً سوياً، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً، يا أبت إني أخـاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكـون للشـيطان وليا**] (مريم: 42_45)

قال ابن القيم× معلقـاً علـى هـذه الآيـات: =فابتـدأ خطـابه بـذكر أَبُـوّتِهِ الدالـة علـى تـوقيره، ولـم يسـمّه باسمه، ثم أخرج الكلام معه مخرج السؤال فقال: [**لِـمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنـك شـيئا**] ولم يقل: ما لا تعبد، ثم قال: [**يا أبت إني قد جـاءني من العلم ما لم يأتك**] فلم يقـل: إنـك جاهـل لا علـم عندك بل عدل عن هذه العبارة إلى ألطـف عبـارة تـدل على هذا المعنى فقـال: [**جاءني مـن العلـم مـا لـم يأتك**].

---

[3] () بدائع الفوائد 3/132_133.

ثم قال: [**يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا**] فنسب الخوف إلى نفسه دون أبيه كما يفعل الشفيق الخائف على من يشفق عليه.

وقال: =يَمَسّكَ+ فذكر لفظ المس الذي هو ألطف من غيره، ثم نَكّرَ العذاب، ثم ذكر الرحمن، ولم يقل الجبار، ولا القهار، فأي خطاب ألطف وألين من هذا؟+.[1]

وبعد أن تبين لنا ما للكلام اللين من فضل وأثر_لِقَائِلٍ أن يقول: هل اللين هو الأسلوب الذي ينبغي سلوكه مع كل أحد، ولا يُعْدَل عنه إلى غيره؟.

والجواب أن يقال: نعم هذا هو الأصل في الكلام حتى مع المخالفين كما قال_تعالى_ [**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**] (العنكبوت: 46).

ولكن قد يعدل عنه إلى غيره حسب ما تقتضيه الحكمة ومقامات الأحوال.

مثال ذلك أن يجور علينا أثيم، فيتعدى حدوده، ويَلجّ في عتوه ونفوره، ويتبجح في نفث سمومه وبث شبهاته.

فمثل هذا لاينفع مع اللين، بل يتعين_والحالة هذه_أن يكبح جماحه، وأن يرد عدوانه؛ ولهذا قال_تعالى_في تمام الآية السابقة في شأن مجادلة أهل الكتاب: [**وإلا الذين ظلموا منهم**] (العنكبوت: 46).

ولهذا كان موسى_عليه السلام_متلطفاً مع فرعون غاية التلطف في بداية الأمر_كما مر قريباً_وعندما رأى موسى من فرعون العناد، والاستكبار، ومحاولة الصد

---

[1] () بدائع الفوائد 3/133.

عـن الحـق بعـد أن اتضـح لـه الـدليلُ، واسـتبانت لـه السبيلُ_أغلظ له في الخطـاب كمـا فـي قـوله_تعـالى_ [**وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً**] (الإسراء: 102).

فأين هذا الخطاب من الخطاب الأول؟.

وفي نهاية المطاف، وبعد أن أيـس مـن فرعـون دعـا عليه بتلك الدعوات العظيمة، التي كانت سبباً في هلاك فرعون ودماره.

[**وقال موسـى ربنـا إنـك آتيـت فرعـون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا، ربنا ليضـلوا عـن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشـدد علـى قلوبهم فلا يؤمنـوا حـتى يـروا العـذاب الأليـم، قال قد أجيبت دعوتكمـا فاسـتقيما ولا تتبعـان سبيل الذين لا يعلمون**] (يونس: 88_89)

27_الشدة في العتاب:

فَمِنَ الناس مَـنْ يشـتد فـي عتـابه إخـوانه عنـد أدنـى هفوة أو زلة، إما لِحِدَّةٍ في طبعه، وإمـا لظنـه أن لـو لـم يفعل ذلك لسقطت منزلته، أو غير ذلك.

فإذا قَصَّرَ أحد من إخوانه في حقه، أو ربما أسـاء إليـه إساءة يسيرة_عاتبه بشدة وغلظة.

وربما تأخر عليه ضـيفه عـن الموعـد المحـدد لِعُـذر أو نحوه، وبدلاً من أن يعذره ويقضيه حـق التكرمـة_تجـده يشتد عليه فـي العتـاب، ويمطـر عليـه وابلاً مـن اللـوم والتقريع.

فالشدة في العتاب، وقلـة التغاضـي عمـا يصـدر مـن الأخطاء_مما يسبب النفور ممن يتصف به، ومما يـوجب الرهبة منه، والرغبة عن مجالسته.

فَدَعِ العتـابَ فَـرُبَّ شـرْ رٍ هَـاجَ أَوَّلُـه العتـاب[1]

فالعاقل اللبيب لايعاتب إخوانه عند كل صغيرةٍ وكبيرة، بل يلتمس لهم المعاذير، ويحملهم على أحسن المحامل.

ثم إن كان هناك مايستوجب العتاب عاتبهم عتاباً ليناً رقيقاً.

ثم ما أحسن المرء أن يتغاضى ويتغافل؛ فالتغاضي والتغافل من أخلاق الأكابر والعظماء؛ فهو دليل على سمو النفس، وأريحيتها، وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة، ويعلي المكانة.

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

قال ابن حبان×: =من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب_كان إلى تكدير عيشه أقرب من أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء+.[1]

وقال ابن الأثير× عندما تحدث في تاريخه عن صلاح الدين الأيوبي: =وكان× حليماً حسن الأخلاق، متواضعاً، صبوراً على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولايعلمه، ولايتغير عليه.

وبلغني أنه كان جالساً وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموز[2] فأخطأته، ووصلت إلى صلاح الدين فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه؛ ليتغافل عنها+.[3]

---

[1]() عيون الأخبار 3/29.

[1]() روضة العقلاء ص 72.

[2]() سرموز: لا أدري أهي لفظة أعجمية؟ أم مصحفة وأصلها قشر موز؟ لا أدري.

[3]() الكامل في التاريخ لابن الأثير 9/225.

وقال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ÷:

أُغَمِّضُ عيني عن أمورٍ وإني على ترك الغَمُوض
وَما من عمىً أُعْضِيْ تعامى وأغضى المرءُ
وأَسكتُ عن أشياءَ لو وليس علينا في المقال
أُصَيِّرُ نفسي باجتهادي وإني بأخلاق الجميع[1]

وإذا كان التغاضي والتغافل من أفضل خصال الحمد_فإن أحق الناس بأن تغفر زلاتهم، وتتغاضى عن هفواتهم، وتتجنب كثرة لومهم وتعنيفهم_رجالٌ عرفت عنهم المودة، ولم يقم لديك شاهدٌ على أنهم صرفوا قلوبهم عنها.

فلو أخذت تُعَنِّفُ من إخوانك كلَّ من صدرت منه هفوة لم تلبث أن تفقدهم جميعاً، ولم يبق لك على ظهر الأرض صديقٌ غير نفسك التي بين جنبيك.

والحاصل أن مايصدر من الصديق إن كان من قبيل العثرة التي تقع في حال غفلة، أو كان خطأً في اجتهاد الرأي_فذلك موضع الصفح والتجاوز، ولاينبغي أن يكون له في نقض الصداقة أثر كثير أو قليل.

قال أحدهم:

لا يُزَهِّدَنَّك من أخٍ لك أن تراه زلَّ زلَّهْ[2]

وقال الآخر:

وإذا الحبيب أتى بذنبٍ جاءت محاسُنه بألف

وقال الآخر:

---

[1] () ديوان الإمام علي ص 106.
[2] () روضة العقلاء ص 45.

فـإن يكـن الفعـلُ الـذي فأفعـالهُ اللائـي سـررنَ

وأما إن كان عن زهـدٍ فـي الصـحبة، أو انصـرافاً عـن الصداقة_فلك أن تزهد به، وتقطع النظر عن صداقته.

وهذا موضع الاستشهاد بمثل قول الكميت:

وما أنا بـالنِّكس الـدنيء إذا صـدَّ عنـي ذو المـودة

ولكنه إن دام دُمْـتُ وإن له مذهب عني فلـي فيـه

ألاَ إن خيـــر الـــودِّ ود له النفس لا ودٌّ أتـى وهْـو

والفرق بين عثرة قد تصدر من ذي صداقة وبين جفـاء لا يكون إلا من زاهد في الصداقة_يرجع فيه الرجل إلـى الدلائل التي لايبقى فيها ريب.

أما مجرد الظنون فلا يُلتفت إليها، ولا يُعَوَّل عليها.

والتفريط بجانب الصديق ليس بالأمر الهين؛ فلا ينبغي الإقدام عليه دون أن تقـوم علـى قصـده لقطـع المـودة بيّنةٌ واضحة؛ ذلك أن المرء لايخلو_وهـو معـرض للغفلـة والخطأ_أن يُخِلَّ بشيء من واجبات الصداقة.

فإن كنت على ثقة من صفاء مودة صديقك_أقمت لـه مـن نفسـك عـذراً، وسـرت فـي معـاملته علـى أحسـن ماتقتضيه الصداقة.

فإذا حام في قلبك شبهة أن يكون هـذا الإخلال ناشـئاً عن التهاون بحق الصداقة_فهذا موضع العتاب؛ فالعتاب يسـتدعي جوابـاً، فـإن اشـتمل الجـواب علـى عـذر أو اعتراف بالتقصير فاقبل العذر، وقابـل التقصـير بصـفاء خاطر، وسماحة نفسٍ.

وعلى هذا الوجه يحمل قول الشاعر:

أعـاتب ذا المـودة مـن إذا مارابني منـه اغـترابُ

إذا ذهب العتـابُ فليـس العتـــــــــــــــاب[1]

ومما يدلك على أن صداقة صاحبك قد نبتت في صـدرٍ سليم أن يجد في نفسه ما يدعوه إلـى عتابـك، حـتى إذا لقيته بقلبـك النقـي، وجبينـك الطلـق_ذهـب كـل مـافي نفسه، ولم يجد للعتاب داعياً، كما قال أحدهم:

أزور محمداً وإذا التقينـا تكلمــتِ الضــمائرُ فــي

فـأرجع لـمْ أُلُمْـهُ ولـم أَلُمْ الضـــــــــــــــمير[2]

فإن أكثر صاحبك من الإجحاف في حق الصداقة، ولم تجد له في هذا الإجحاف الكثير عذراً يزيـل مـن نفسـك الارتياب في صدق مودته_فذلك موضع قول القائل:

أقْلِلْ عتابَ من اسْتَرَبْتِ بعتـــــــــــــــاب[3]

28_التقصير في أدب الهاتف: [4]

فالهـاتف فـي هـذا العصـر يعـد أهـم وسـائل الاتصـال الشــفوية وأســرعها؛ فهــو يعطــي المتهــاتفين فرصــة الإيضاح بلا عناء، ولا مكاتبة؛ فكـم فـي ذلـك مـن تـوفيرٍ للجهد، والوقت، والمال، وتلبية المطلوب بأقصر وقـت، ورفع مشقة الذهاب والإياب، بل والسفر لأمـورٍ تقضـى بواسطة الهاتف؛ فلله الحمد والمنّة.

هذا وللهـاتف آداب مطلوبـة مـن الطرفيـن: المتَّصِـل والمتَّصَل عليه، وإذا كان بعضها من جانب المتَّصِل آكـد،

---

[1] () بهجة المجالس 4/738.

[2] () عيون الأخبار 3/26.

[3] () انظر رسائل الإصلاح، 2/15_16 ففيه تفصيل جميل لهذا الأمر، وانظر سوء الخلق مظاهره_ أسبابه_ علاجه، للكاتب ص 104_106.

[4] () الحديث في هذه الفقرة أكثره مستفاد من أدب الهاتف للعلامة د.بكر أبو زيد _ حفظه الله.

لأنه هـو الطـالب، والطـالب قريـب مـن السـائل، ففـي موقفه ضعف، فليجبره بحسن الأدب.

وإن ممـا يلاحـظ أن هنـاك تقصـيراً كـبيراً فـي أدب الهاتف، ومن مظاهر ذلك مايلي:

أ_ قلة المبالاة بصحة الرقم المطلوب:

فمن الناس من لايبالي بصحة الرقم الذي طلبه، ممـا يوقعه في الغلط، فيتسـبب فـي إيقـاظ نـائم، أو إزعـاج مريض، أو إشغال الآخرين، أو نحو ذلك.

ومن هنا كـان واجبـاً علـى المتَّصِـل ألا يتصـل إلا بعـد التأكد من معرفة الرقم، إما أن يكون مكتوبـاً أمـامه، أو أن يكون متأكداً من حفظه في ذاكرته.

ثم إذا وضع إصبعه على الهـاتف فَلْيُتْبِعْـه بصـره، فـإن حصل خطأ فليتلطف بالاعتذار.

ب_ شدة الغضب حال الاتصال الخطأ:

فالبعض يشتد غضبه، ويرتفع صوته، ويبادر بالدعاء إذا اتصل عليه متصل فأخطأ الرقم.

وهذا لايحسن بالمرء؛ فيا أيها المتّصَل عليه، لا تنفعـل حينما يحصل شـيء منـذلك، بـل تـأنَّ، ولا تعجـل بـاللوم والغضب، بل تلطّف بالقول؛ فـإن كـان المتصـل غالطـاً حقيقة فهو غير آثم، وقد أدخلـت إليـه السـرور بلطفـك، ولا سبيل لك عليه شرعاً.

وإن كان متعمداً فقد أحسنت في تلطفك، ولك الأجـر وعليه الوزر.

ج_ قلة المراعاة لوقت الاتصال:

فـإذا كـان لـك حاجـةً فـي الاتصـال فـاذكر أن للنـاس أشـغالاً وحاجـاتٍ، ولهـم أوقـات طعـام، وأوقـات نـوم وراحة.

فعليك تَحَرّي الوقت المناسب، مراعياً ظروف العمل، وارتباطات أخيك، وما عليه من واجبات ومسؤوليات، ومراعياً مالدى أهل البيت من أوقات نوم، وراحة، وطعام.

ثم إذا اعتذر منك إلى وقت آخر فاقبل ذلك بانشراح صدر.

وإذا قيل انتظر، فانتظر وأنت مُنَعّمُ البال، غير مُتَبَرِّمٍ.

وحكم مراعاة الاتصال هذا إنما هو في غير الأماكن المفتوحة على مدار ساعات الليل والنهار، كالفنادق، ودور التأجير للمسافرين، ومن في حكمهم.

د_الإطالة بالمكالمة بلا داع:

والمقياس في ذلك أن لكل مقام مقالاً، ولكل مقال مقداراً؛ فاحذر الثرثرة، والإملال، والإطالة، والإثقال.

هـ_قلة الاعتداد بالسلام من المتَّصِل بدايةً ونهايةً:

فمن الناس من لا يأبه بالسلام حال الاتصال لا في البداية ولا النهاية، ومنهم من يستبدل تحية الإسلام_السلام عليكم_بغيرها من التحيات الأخرى، كأن يقول (صباح الخير، أو صباح النور) أو أن يقول (ألو) أو (كيف الحال)أو نحوها.

وفي هذا ابتعاد عن السنَّة، واستبدال للذي أدنى بالذي هو خير.

و_سكوت المتَّصِل إذا رفعت السمّاعة:

فمن المتّصِلين من يسكت إذا رفعت السماعة حتى يتكلم المتّصَلُ عليه، وفي هذا إخلال للأدب من عدة جهات:

منهـا: مخالفـة السـنة فـي بـدء المسـتأذن والقـادم بالسلام.
ومنهـا: أن المتصـل هـو الطـالب فعليـه المبـادرة بالسلام.
ومنها: أن بعض من قلَّ أدبُهم يقصد الفحص والتَعَرُّف هل أنت موجود أو لا؟
فـإذا رفعـت السـماعة وقلـتَ: نعـم، عـرف المـراد فوضعها.
ز_التعمية على المتَّصَل عليه:
وذلك بأن لايذكر المتَّصِل اسمه حال الاتصـال، بحيـث يعدل عن ذلـك فـإذا سـئل عـن اسـمه قـال: أنـا، أو أنـا صديقه، أو أنا جاره، أو نحو ذلك.
وماذا عليك أيها المتَّصِل أن تقول أنا فلان الفلانـي، أو بما يُعَرِّف شخصك عنده؟
ح_خضـوع المـرأة بـالقول حـال المهاتفـة، واسترسالها بالحديث مع الرجال:
قال الله_تعالى_: [**فلا تخضعن بـالقول فيطمـع الـذي فـي قلبـه مـرض وقلـن قـولاً معروفـاً**] (الأحزاب: 32).
هـذا فـي حـق نسـاء النـبي " اللاتـي هـن أمهـات المؤمنين_رضي الله عنهن_واللاتي لايطمع فيهن طامع، وهن في عهد النبوة.
فكيف بمن سواهن؟ إنَّ نَهْيَهُنَّ عن الخضوع مـن بـاب أولى، فاتقين الله يانساء المؤمنين، وقلن قولاً معروفـاً في الخير، أي بلا ترخيم ولا تمطيط، فلا تخاطب المـرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

وإذا كان يحـرم علـى المـرأة ذلـك_فـإنه يحـرم علـى الرجـل سـماعُ صـوتها بتلـذذ، ولـو كـان صـوتها بقـراءة القرآن.

وإذا شعرت المرأة بذلك حـرم عليهـا الاسـتمرار فـي الكلام معه؛ لما يدعو إليه من الفتنة.

ط_إزعاج الناس بالأخبار الكاذبة:

فمن الناس من نضب ماء الحياء في وجهه، وقلَّ وقارُ الله في قلبه، فلا يبالي بما يقـول، ولا يـأنف مـن ترويـع المسلمين.

فتجد هذا الصفيق يتصل ببعض البيوت ويقــول_مثلاً_: لقد حصل على ابنكم حادث في السيارة فمـات، أو هـو الآن في حالة خطر أو نحو ذلك.

فما المتوقع أن تكون النتيجة لهذه الكذبة خصوصاً إذا سمع هذا الخبر أم أو زوجة؟

ألا فليتق اللـه مـن يقـوم بـذلك، وليحـذر عقوبـة اللـه العاجلة تنزل بساحته.

ي_تسجيل صوت المتكلم دون إذنه وعلمه:

فهـذا ضـرب مـن ضـروب الخيانـة، وإذا نشـرت هـذه المكالمة للآخرين فهي زيادة في التخون وهتك الأمانة.

ك_المعاكسات الهاتفية:

فمن السفلة مـن يتصـل علـى الـبيوت مسـتغلاً غيبـة الراعي؛ ليتخـذها فرصـة علّـه يجـد مـن يسـتدرجه إلـى سفالته.

وهذا نوع من الخلوة أو سبيل إليها.

ومنهم من يستدرج بريئة في الكلام ثم يسجل صــوتها ثم يتخذ ذلك ذريعةً لتهديدها وإسماع أقاربهـا صــوتَها إن لم تستجب لمطالبه.

فهذه الأعمال وأمثالها حـرام، وإثـم، وجنـاح، وفاعلهـا حري بالعقوبة، فيُخشى عليه أن تنزل بـه عقوبـة تلـوث وجه كرامته.

فعلى رب الدار أن يبذل الأسباب، ويـوفر الضـمانات، لحماية محارمه من العابثين والسفهاء.

ومن هذه الأسباب أن يكون الهاتف في مكانه لا تغاب عنه الرقابة البيتية، مع منع تعدد أجهـزة الهـاتف، خاصـة في غرف البنـات والمراهقيـن، وأن ينظـم الراعـي مـع أهل بيته من يتولى الرد على الهاتف، وآداب الرد، وعدم الاسترسال مع المتّصِل، وهكذا مما لايخفى على محبي العفة والكرامة.

29_التقصير في أدب الحوار:

فالناس كثيراً مما يحتاجون إلى الحوار؛ ليصـلوا مـن خلاله إلـى نتيجـة مـا، سـواء فـي المسـائل العلميـة، أو غيرهـا مـن الأمـور الـتي تتفـاوت فـي فهمهـا مـدارك العقول.

والحوار المنهجي مفيد في إيصـال الفكـرة للآخريـن، ومفيد في تدريب المحاور نفسه؛ إذ يرتقي بطريقته في التفكير والأداء، ويُدَرّبه على كبح جماحه، وضـبط نفسـه ولسانه، ويقوي لديه ملكة المحاكمة والتفكيـر المـتزن، مما يجعله مقبولاً بدرجة أكبر.[1]

ثم إن الناس يصلون من خلال الحـوار المنضـبط إلـى قناعات معينة، وتصورات صحيحة.

---

[1]() انظر: في أصول الحوار إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص 7.

كما أنه سبب لاتساع آفاقهم، وتفتح مـداركهم؛ ولهـذا عني القرآن به عنايةً بالغة؛ فهو الطريق الأمثـل للإقنـاع الذي ينبع من الأعماق.

إلا أن المتأمـل فـي حـوارات النـاس يلحـظ تقصـيراً كبيراً في هذا الجانب.

وقبـل الـدخول فـي ذكـر جـوانب التقصـير فـي أدب الحوار_يحسـن أن يُفَـرَّق بيـن الحـوار والجـدال تفريقـاً يوضح مدلول كل منهما.

فهما يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين، لكنهما يفترقان بعد ذلك.

أما الجدال فو الأغلب اللددُ في الخصومة ومـا يتصـل بـذلك، ولكـن فـي إطـار التخاصـم بـالكلام؛ فالجـدال، والمجادلة، والجدل كل ذلك ينحو منحـى الخصـومة ولـو بمعنى العناد بالرأي، والتعصب له.

هذا وستتضح معالمه في الفقرة التالية.

وأما الحوار والمحاورة فهو مراجعة الحديث، ومداولة الكلام بين طرفين، ينتقل من الأول إلى الثاني، ثم يعـود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين هذين الطرفيـن مـا يدل بالضرورة على وجوب الخصومة.

وأما الآن فإلى ذكر بعـض الجـوانب الـتي يُقصّـَر فيهـا أدب الحوار.

أ_ قلة الإخلاص:

وذلك بأن يدخل المرء في حوار لايريـد بـه وجـه اللـه، ولا الوصول من خلاله إلى معرفة الحق.

وإنمـا يريـد أن يظهـر براعتـه، ويـبرز مقـدرته، ويـبز أقرانه، وينتزع إعجاب الحاضرين.

قال الرافعي×: =متى وقع الخلاف بين اثنين، وكانت النية صادقة مخلصة_لم يكن اختلافهما إلا من تَنَوِّع الرأي، وانتهيا إلى الاتفاق بغلبة أقوى الرأيين، مامن ذلك بُدٌّ+.[1]

وعن أحمد بن خالد الخلال قال: =سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ.

وعن الحسين الكرابيسي يقول: سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يُوفَّق، ويُسدَّدَ، ويُعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ.

وما ناظرت أحداً إلا ولم أُبالِ بَيّنْ الله الحق على لساني أو لسانه+.[2]

ب_ الدخول في النيات:

وذلك بإلصاق التهم بالمُحَاور، وحمل كلامه على أسوأ المحامل، وأخذه بلازم قوله دون أن يتلزمه، أو أن يقول له: أنت لم تُرد بما قلت وجه الله، أو نحو ذلك.

فهذا مما يفسد جوّ الحوار، ويفقده مصداقيته وفائدته، ويخرجه إلى المهاترة والمسابّة.

فيجمل بالمرء أن يحسن الظن بمن يحاوره، وأن لايدخل في نيته، وأن يحمل كلامه على أحسن المحامل ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

ج_الغضب:

فكثير من المحاورين إذا أبدا وجهة نظر قابله للأخذ والرد ثم عارضه صاحبه ولم يوافقه عليها_غضب لذلك أشد الغضب.

---

[1] () وحي القلم للرافعي 2/315.

[2] () صفة الصفوة لابن الجوزي 2/167.

وهـذا لايحسـن بالمحـاور، بـل يحسـن بـه أن يضـبط نفسه، وألا يحمل الناس على ما يراه صواباً.

ج_الهجر والصرم:

فكـثيراً مـا تَفْسُـد ذاتُ الـبين بيـن المتحـاورين عنـد الاختلاف في وجهات النظر.

حتى إن ذلك لَيَحْدثُ بين الـزملاء والأصـدقاء؛ فلربمـا أودى الخلاف بالصداقة، وذهب بالمودة والمحبة.

إن المحـــاورة والمناقشـــة تـــؤثر فـــي غـــالب الأحيان_على القلـوب، وتكـدر الخـواطر؛ فتـذكر ذلـك جيداً وأنت تحاور، وتذكر قول الشاعر:

واختلافُ الــرأي لايُــفْ سِــدُ للــودِّ قَضــيَّة

وقول الآخر:

فــي الــرأي تضــطغن ل وليــس تضــطغن

فليست المشكلة أن نختلف، وإنما هي أن لانعرف كيف نختلف، وليس الحل بألا نختلف أبداً؛ فهذا غير ممكن ولا متصور، وإنمـا هـو أن لانصـعِّدَ الخلاف، وألا نسـعى إلـى إذكائه، وأن نعرف كيف نختلف كما نعـرف كيـف نتفـق، كما كان الصحابة_رضي الله عنهم_فهم خير الناس حال الوفاق، وحال الخلاف.

فمع أن الخلاف وقع بينهم في العديد من المسـائل إلا أن قلوبهم كانت متوادّةً، متحابة، متقاربة، متآلفة.

بل لقد كانوا مثالاً يحتذى، ونهجاً يقتفى حتى في حال الفتنة والقتال؛ فبرغم ماحصل بينهم من قتال وفتنـة إلا أن منـار العـدل والتقـوى كـان قائمـاً فيهـم؛ فلـم يُكفِّـرْ بعضهم بعضاً، ولم يُبدِّع بعضهم بعضا، بل كـانوا يأخـذون العلم من بعض، ويلتمسون المعـاذير لبعـض، بـل كـانوا يثنون على بعض ويَتَرَحّمون على بعض.

هـ_إغفال الجوانب العاطفية:

فـالجوانب العاطفيـة لهـا دور كـبير فـي المحـاورة وغيرها، فكثير من المحاورين يغفل هذا الجانب ولا يـأبه به.

وهـذا خلـل يحسـن بالمُحَـاور أن يتجنبـه؛ ففـي بعـض الأحيان قد لاينفع المنطق والبرهان، وإنما يجدي التـودد والإحسان.

فحينئـذٍ ألْـق عصـا المنطـق والبيـان، واحمـل رايـة الشفقة والحنـان؛ حينهـا تَخْطِـب الـودَّ، وتسـتولي علـى الأمد.

فكثيراً ما تبدأ المناقشـة أو المحـاورة، وروح العـداوة تسيطر على أحد الطرفين.

فإذا ما دفع الآخر بـالتي هـي أحسـن انقلبـت العـداوة إلى مودة، والبغضة والوحشة إلى محبة وألفة.[1]

فحري بالمحاور أن يكسب صـاحبه، وأن يخطـب ودّه في كل مناسبة تسنح له؛ فيثني عليه إذا أجاد، ويسلِّم له إذا أصـاب، ويـرده إلـى الصـواب بلطـف إذا هـو أخطـأ، ويـذكر مزايـاه فـي حضـوره وغيبتـه، ويبـادر بالهديـة والزيارة إذا أحسن نفرة منه.

وهذه الأمور ليس بالسهل تحصيلها، ولا ليس بمقـدور كل إنسان ينالها، بل تحتاج إلى توفيق، وتدريب، وصـبر، وشـجاعة [**ومـا يلقاهـا إلا الـذين صـبروا، ومـا يلقاها إلا ذو حظ عظيم**] (فصلت: 35).

و_قلة الإنصاف:

---

[1] () انظر في أصول الحوار ص 75.

فقلة الإنصاف خصلة قبيحة، تنساق بصاحبها إلى دركات سحيقة، فتقوده إلى الظلم، والكبر، والتزيد، والاعتساف، وتَنْجَرُّ به إلى الصرم، والخجر، والقطيعة.

قال الحكيم العربي:

ولم تزل قلةُ الإنصافِ بين الرجال وإن كانوا قليلا

ثم إن قلة الإنصاف تسقط الاحترام من العيون والقلوب، وتحول بين الرجل وبين أن يزداد علماً وفضلاً، كما أنها تخذل العلم، وتطمس شيئاً من معالمه، كما أنها تفسد فيه فساداً عريضاً.

فإذا لم ينصفك محاورُك، فَرَدَّ عليك الحقَّ بالشمال وباليمين، أو جحد جانباً من فضلك، أو تعامى عما معك من الحق وهو يراه رأيَ العين_فلا تُسايرْهُ في ذلك، ولا تكن قلة إنصافِهِ حاملةً لك على أن تقابله بالعناد، فترد عليه حقَّاً، أو تجحد له فضلاً، فاحترس من أن تسري لك من محاورك عدوى هذا الخلق الممقوت، فيلج في نفسك، وينشط له لسانك، وأنت تحسبه من قبيل محاربة الخصوم بمثل سلاحهم.

كلا، لايحارب الرجل خصومه بمثل اعتصامه بالفضيلة، ولاسيما فضيلة كفضيلة الإنصاف؛ فهي تدل على نفس مطمئنة، وأفق واسع، ونظر في العواقب بعيد.

ولئن كان الإنصاف جميلاً فهو مع الأقران أجمل وأجمل؛ ذلك أن الرجل يسهل عليه أن ينصف من هو أكبر منه سناً أكثر مما يسهل عليه أن ينصف قرينه؛ ذلك لأن أكبر عائق عن الإنصاف التحاسدُ.

وحسد الإنسان لأقرانه أكبر وأشد من حسده للمتقدمين عليه في السن.

بل يسهل عليه أن ينصف أقرانه أكثر مما يسهل عليه أن ينصف من هو أحدث سناً منه؛ إذ يسبق إلى ظنه أن ظهور مزيةٍ لمن هو أحدث عهداً منه قد تفضي إلى أن يكون ذِكْرُه أرفعَ.

وفضل القرين على بعض أقرانه شائع أكثر من فضل المتأخر على المتقدم، وشيوع الشيء يجعله أهون على النفس مما هو أقل شيوعاً منه.

عن عمر بن سعيد عن أمه قالت: =قدم ابن عمر مكة، فسألوه، فقال: أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبي رباح_يعني عطاءً_+[1]

فابن عمر÷كان صحابياً، وعطاء ابن أبي رباح×كان تابعياً، ومع ذلك أنصفه ابن عمر، ولم يغمطه حقه.

فينبغي للإنسان أن يتيقظ للأحوال التي تَتَقَوَّى فيها داعيةُ العناد، ويُعِدَّ للوقوف عند حدود الإنصاف، ومقاومة تلك الداعية ما استطاع من قوة.

كذلك لايصعب على الرجل أن ينصف قريباً أو صديقاً، بل لا يصعب عليه أن ينصف من لاتر بطه به قرابة، أو صداقة، ولا تبعده منه عداوة.

والإنصاف الذي قد يحتاج فيه إلى مراوضة النفس كثيراً أو قليلاً_هو أن يبديَ بعض أعدائه رأياً سديداً، أو يناقشة في رأي مناقشة صائبة؛ فهذا موطن تذكير النفس بأدب الإنصاف، وإنذارها ما يترتب على العناد من إثم وفساد.

ومن الإنصاف الذي يدل على الرسوخ في الفضيلة أن يتحدث الرجل عن خصمه، فينسب إليه ما يعرفه له من فضل.

---

[1]() صفة الصفوة 2/143.

أُنشد في مجلس أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب÷ قول الشاعر:

فتىً كان يدنيه الغنى إذا ما هو استغنى ويبعده

كأن الثريا عُلِّقتْ بجبينه وفي خده الشِّعرى وفي

فلما سمعها علي÷ قال: هذا طلحة بن عبيد الله، وكان السيف ليلتئذ مجرداً بينهما!.[1]

وإن مما يعين على اكتساب فضيلة الإنصاف_أن يحب المرء لإخوانه ما يحب لنفسه؛ فذلك أقرب للتقوى، وأنفى للوحشة والبغضاء، وأدعى للرحمة والمودة والقربى؛ =فأعدل السِّير أن تقيس الناس بنفسك، فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك+[2].

قال النبي_عليه الصلاة والسلام_: =**لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**+.[3]

قال الخطابي:

ارض للناس جميعاً مثلَ ما ترضى لنفسكْ

إنما الناسُ جميعاً كُلُّهُمْ أبناءُ جنسكْ

فلهم نفسٌ كنفسك ولهم حسٌّ كحِسِّكْ[4]

ومما يعين على الإنصاف_أيضاً_أن يضع المرء نفسه موضع خصمه؛ فذلك مما يدعو لالتماس المعاذير، والبعد عن إساءة الظن، والحذر من مواطن الظلم والاعتساف.

---

[1] () انظر رسائل الإصلاح 1/38_47.
[2] () الأدب الصغير والأدب الكبير ص 73.
[3] () رواه البخاري 1/9، ومسلم (45).
[4] () أقوال مأثورة ص 456.

قال ابن حزم×: =من أراد الإنصاف فَلْيَتَوَهَّمْ نَفْسَهُ مكانَ خصمه؛ فإنه يلوح له وجهُ تَعَسُّفِهِ+.[1]

ز_التهكم بالمحاور:

وهذا مما يسلكه بعض الناس في محاوراته، فتراه يزدري مُحَاوِرَهُ، ويتهكم به، ويغضُّ من شأنه، ويحط من مرتبته.

وهذا الصنيع من آفات الحوار، وعلل المحاورين؛ فهو دليل على الكبر والغرور، ومن علامات الإعجاب بالنفس، والاستطالة على الآخرين.

فالتهكم بالمحاور مما ينافي أدب الحوار، فلا ينبغي للمحاور أن يلجأ إليه إلا إذا اقتضى الحال ذلك، كأن تتحدث مع طائفةٍ باعوا نفوسهم بمتاع هذه الحياة الدنيا، واندفعوا لإغواء الأمة، والكيد لها ولشريعتها بجميع ما يملكون من صفاقةٍ، وعناد، وسوء طَوِيّة.

ولعل الناس يعذرونك حين تتصدى لكف بأس هؤلاء ويجري على لسانك أو قلمك في خلال جدالهم كلمةٌ تتهكم بعقولهم، أو تزدري آراءهم، أو تنبه على مكر انطوت عليه دعايتهم.

فإنك إن تهكمت بعقول هؤلاء، أو ازدريت آراءهم_فإنما تضعها في مواضعها، وتمسُّ خُيلاءهم بما يخفف من غلوائها.[2]

ح_التحدي والإفحام:

فتلك آفة يعاني منها كثير من المحاورين، فتجد كثيراً منهم يحرص كل الحرص على إفحام صاحبه، وإسكاته، وربما الإطاحة به.

---

[1] () الأخلاق والسير ص 80.

[2] () انظر الدعوة إلى الإصلاح ص 55.

وهذا الأسلوب لاينبغي ولو كان بالحجة والبرهان؛ ذلك أنه يورث التنافر، ويهيج العداوة، ويُبَغِّضُ صاحبه للآخرين؛ فلا تلجأ إليه؛ لأن كسب القلوب أهم من كسب المواقف.

ثم إنك قد تفحم محاورك، وتعجزه عن الجواب، لكنك لا تقنعه.

وقد تسكته بقوة حجتك، ولحن منطقك ومع ذلك لايُسلِّم لك؛ لأنك قد أحرجته، وملأت قلبه غيظاً وحنقاً عليك، فيرفض التسليم لك بعاطفته، وإن كان معك بعقله.

ولعل وقع التحدي يكون أشد، وجرحه أغور إذا كان أمام جمع من الناس، ويزداد الأمر شدة كلما ازداد الجمع.

أما إذا تلطفت معه وترفقت به فإنه سينقاد إلى الحق، وسيسلم لك ويذعن إن عاجلاً أو آجلاً.

فإذا أنهيت ما تريد قوله، وأدليت بدليلك فاترك صاحبك وإن لم يوافقك؛ فهو مع مرور الزمن، وتَخَمُّر الفكرة في رأسه سيقتنع برأيك، بل ربما تبناه، ودافع عنه؛ فالوقت له قيمته، وهو جزء من علاج الأفكار والنفوس.[1]

ومع ذلك يبقى الإفحام هو الأسلوب الأمثل إذا استدعاه المقام، واقتضاه الحال، كما هو الشأن مع من يتعامى عن الحق، ويثير الشبه والأباطيل، فإفحامه مما يدحض حجته، ويكسر شوكته، ويسقط هيبته.

---

[1] () انظر في أصول الحوار ص 60 وكيف تحاور د.طارق الحبيب ص 61.

وكذلك فعل إبراهيم الخليل_عليه السلام_حينما حاجّه النمـرود فـي ربـاه الـذي آتـاه الملـك، فـأفحمه الخليـل وأسكته.

قال_تعالى_: [**ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشـرق فـأت بهـا من المغـرب فبهـت الـذي كفـر واللـه لا يهـدي القوم الظالمين**] (البقرة: 258).

ط_تفخيم النفس:

فذلك مما يعاني منه كثير من المحاورين؛ فتراه يكـثر من إدراج ضمير المتكلم(أنـا)، أو مـا يقـوم مقـامه كـأن يقـول: (فـي رأيـي)، أو (حسـب خـبرتي)، أو(هـذا مـا توصلتُ إليه)، ونحو ذلك.

وأقبح ما في هذا أن يفخّم نفسه أكثر من ذلك، فيـأتي بضمير الجمع كأن يقول: (هذا رأينا)، أو(هـذا ترجيحنـا)، أو(هذا ما توصلنا إليه)، أو نحو ذلك من العبارات الفَجّـة، التي تنم عن غرور ونقص.

فهذا كله مجلبة لتباعد الأنفـس بعـد تقاربهـا، ولتنـاكر الأرواح بعـد تعارفهـا، وهـو ممـا يفقـد الحـوار قيمتـه وفائـدته؛ وذلـك لمـا يـتركه مـن انطبـاع سـيىء لـدى السامع؛ فالإنسان بطبعه يكره من يتعالى عليه، وينزلـه منزلة الجاهل.

والبديل الصحيح عن ذلك أن يتحدث المـرء مسـتعملاً الصيغ التي توحي بالتواضع، وعزو العلم لأصـحابه، كـأن يقول: ويبدو للدارس كذا وكذا، أو يقول: ولعل الصواب

أن يقال كذا وكذا، ونحـو ذلـك مـن العبـارات المشـعرة بالتواضع، واهتضام النفس.[1]

ي_تجاهل اسم المحاور:

كأن يقول المرء بين الفينة والأخرى لمحاوره: يـافلان بغير اسمه تجاهلاً له، أو أن يناديه بلقب يكرهه.

ومن ذلـك أن يكـثر مـن إيـراد ضـمير المخـاطب فـي مخاطبة محاوره كـأن يقـول: أنـت، أو مـا يشـاكله كـأن يقول: قلتَ، أو تكلمتَ، أو أخطـأتَ، أو تعجلـتَ، أو نحـو ذلك.

فهــذا ممــا ينــافي الأدب، ويــثير المحــاور، ويجلــب الضغائن.

فــالأولى بــالمرء أن لا يخــاطب محــاوره إلا باســمه مقروناً بتفخيمه وتبجيله، وإنزاله المنزلة اللائقة به، وإن كنّاه أو ناداه بلقب يَسُرُّه فحسن جميل.[2]

وهذا الأدب مقتبس من مثل قوله_تعالى_: [**يـا أهـل الكتاب**] ، وقول: [**يا أولي الأبصار**].

ويتأكــد هــذا الأدب فــي محــاورة الصــغير للكــبير، والمرؤوس للرئيس ونحو ذلك.

ك_التنازل عن المبدأ الثابت:

فهناك من يحاور غيره، فيتنازل له عـن مبـادئه الثابتـة عند أدنى شبهة تثار عليه.

وهذا من آفات الحوار، ومما يتنافى مع الحزم.

وليس معنى ذلك أن يصر المرء علـى لجـاجه وعنـاده بعد أن يتبين له الحق، بل الحكمة والعدل أن يرجـع عـن رأيه وقوله إذا لاح له وجه الصواب.

---

[1] () انظر في أصول الحوار ص 75.

[2] () انظر كيف تحاور ص 21، 28، 29_30.

وإنما المقصود أن يثبت على مبدئه، ولا يرجع عما عقد عليه قلبه إلا إذا تبين له خلاف ذلك بالبرهان الساطع، والدليل القاطع.

قال ابن حزم×: =الثبات الذي هو صحة العقد، والثبات الذي هو اللجاج مشتبهان اشتباهاً لا يفرق بينهما إلا عارف بكيفية الأخلاق.

والفرق بينهما أن اللجاج هو ما كان على الباطل، أو ما فعله الفاعل نصراً لما نشب فيه، وقد لاح له فساده، أو لم يَلُحْ له صوابه ولا فساده، وهذا مذموم، وضده الإنصاف.

وأما الثبات الذي هو صحة العقد فإنما يكون على الحق، أو على ما اعتقده المرء حقاً ما لم يَلُحْ له باطله، وهذا محمود، وضده الاضطراب.

وإنما يلام بعض هذين لأنه ضَيَّع تدبر ما ثبت عليه، وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل+.[1]

وقال العقاد:

=العناد، والثبات على الرأي نقيضان؛ العناد إصرار بغير سبب، أو لسبب ظهر بطلانه.

والثبات إصرار على رأي يؤمن به صاحبه، ولم يظهر له ما يدعوه إلى التحول عنه+.[2]

ل_الإصرار على الخطأ، والأنفة من الرجوع إلى الحق:

فكما أن من آفات الحوار تنازلَ المرءِ عن مبدئه الثابت_فكذلك من آفاته الإصرار على الخطأ والأنفة من الرجوع إلى الحق.

---

[1]() الأخلاق والسير ص 57.

[2]() أقوال مأثورة ص 200 عن آخر كلمات العقاد ص 39.

فمن المحاورين من يصر على رأيه بعدما تبين له فساده، ويأنف من الرجوع إلى الحق بعد ما تبين له وجه الحقيقة الأبلج؛ إما خوفاً من سقوط منزلته، وإما لحسدٍ تنطوي عليه دخيلة نفسه، أو حذراً من تفوق الخصم، وحرصاً على الانفراد بخصال الحمد، أو متابعة للأصحاب، ومسايرة لمن هم على الشاكلة، أو لإرادة الإضلال، ومحاولة قتل الحق وطمس معالمه، أو غير ذلك من أسباب رد الحق، و الإصرار على الباطل.

وهذه الآفة نوع من العناد =والعناد قبيح، ويشتد هذا القبح بمقدار ظهور الحجة على الرأي الذي تحاول رَدّه على صاحبه؛ فمتى كانت الحجة أظهر كان العناد أقبح.

والإنصاف جميل، ويكون جماله أوضح وأجلى حيث يكون في حجة الرأي الصائب شيء من الخفاء، وحيث يمكنك أن تَتَحَيّزَ لرأيك، وتُهَيّءَ كثيراً من الأذهان لقبوله+.[1]

كذلك قد تقول قولاً تراه صواباً، وقد تعمل عملاً تحسبه حسناً، فينقده آخرُ بميزان العلم الصحيح، ويريك أنك قد قلت خطأً، أو عملت سيئاً.

ففي مثل هذا المقام قد تجد في نفسك كراهةً للاعتراف بالخطأ في القول، أو الإساءة بالعمل.

فإن كنت على ذكر في فضيلة الرجوع للحق، وعلى بَيِّنَةٍ من قبح الإصرار على الباطل_لم تلبث أن تكظم الكراهة، ولم تجد في نفسك حرجاً من أن تقول للناس: إني أخطأت في قولي، وأسأت في عملي.

---

[1] () رسائل الإصلاح 1/46.

فالأكابر لا يأنفون مـن الاعـتراف بالخطـأ إذا أخطـأوا، ولا يَتَلَبَّثُون في الرجوع إلى الحق ولو عظمت مناصـبهم وعلت أقدارهم.

والراسخون في الفضيلة لا يبالون أن يكون رجــوعهم عن الخطأ أمام من خالفه وحده، أو بمحضر جمع كـبير.[1]

=وقد ينقل التاريـخ شـذراتٍ مـن حـوادث المنصـفين لمن خالفهم فـي أمـر، أو المعـترفين لبعـض خصـومهم بفضيلة، فتهتز في نفوس قرائهـا عاطفـةُ احـترامٍ لمـن أقر بالخطأ، أو اعترف لخصمه بخصلة حمد.

وربما كان إكبارهم لمن أقر بالخطأ فوق إكبارهم لمن خالفه في الرأي فأصاب.

وربما كان إكبارهم لمن شـهد لخصـمه بمكرمـة فـوق إكبارهم للشخص المشهود له بتلك المكرمة.

وسبب هذا الإكبار عظمةُ الإنصـاف، وعـزة مـن يأخـذ نفسه بها في كل حال+.[2]

ولـو أخـذت هـذه الخصـلة حظهـا مـن النفـوس لعـمّ الائتلاف، ولقلّ الاختلاف.

عـن الربيـع بـن سـليمان قـال: =سـمعت الشـافعي يقول: ما أورَدْتُ الحقَّ والحجة على أحـد فقبلهمـا منـي إلا هِبْتُه، واعتقدت مَوَدّتَهُ، ولا كـابرني علـى الحـق أحـد، ودافع الحجة إلا سقط من عيني+.[3]

---

[1] () انظر رسائل الإصلاح 1/42_45.
[2] () رسائل الإصلاح 1/46.
[3] () صفوة الصفوة 2/167.

=ونقرأ في تاريخ العلامة محمد بن عبدالسلام أن ابن الصباغ اعترض عليه في أربعة عشر مسألة، فلم يـدافع عن واحدة منها، بل أقر بالخطأ فيها جميعاً+.[4]

=ويقص علينا التاريـخ أن فـي الأسـاتذة مـن يحـرص على أن يرتقي تلاميذه في العلـم إلـى الـذروة، ولا يجـد في نفسه حرجاً من أن يظهر عليه أحدهم في بحـث، أو محاورة.

يذكرون أن العلامة أبـا عبـدالله الشـريف التلمسـاني كان يحمل كلام الطلبة على أحسن وجوهه، ويبرزه فـي أحسن صوره.

ويروى أن أبا عبدالله_هذا_كان قد تجاذب مع أستاذه أبي زيد ابن الإمام الكلام فـي مسـألة، وطـال البحـث اعتراضاً وجواباً حتى ظهـر أبـو عبـدالله علـى أسـتاذه أبي زيد، فاعترف له الأستاذ بالإصابة، وأنشد مداعباً:

أعلمه الرماية كـلّ يـومٍ فلمـــا اشـــتد ســـاعدُه

[2]

م_قلة العلم بمادة الحوار:

فقد يحاور المرء بـدون علـم؛ فـإن فعـل ذلـك عـرّض نفسه للإحراج، بل ربمـا خـذل الحـق خصوصـاً إذا كـان الذي أمامه محاوراً بارعاً، فلربما أقنع السامعين بفكـرة خاطئة، أو شكّكهم بفكرة صحيحة؛ فكم ضـاع مـن حـق بسبب سوء العبارة، وقلة العلم، وكـم ظهـر مـن باطـل بسبب حسن العرض، وجمال العبارة.

في زخرف القول تزيينٌ والحـق قـد يعـتريه سـوء

فلا ينبغي لشخص أن يدخل في حوار إلا وقد أحاط بـه علمـاً؛ فـالعلم بموضـوع الحـوار، والعلـم بتفاصـيله،

---

[4] () رسائل الإصلاح 1/42.

[2] () رسائل الإصلاح 1/44.

والتسلح بالحجج والبراهين_سلاح ماضٍ بيد المحاور الناجح؛ إذ يمكنه من الوقوف على أرضٍ ثابتة، وليس على رمال متحركة؛ فالمستيقن من الحق الذي معه تراه مطمئن الخاطر، آمناً على مذهبه من صولة الباطل؛ فينطق عن أناة وتَخَيُّرٍ للأقوال الصائبة.

والعرب تقول: =قبل الرمي يراشُ السهم+، أي هَيِّىءِ الأمر، وأَعِدّه قبل حاجتك إليه.[1]

أما من لم يكن على بصيرة من رأيه فإنه ينزعج عند الحوار، ويطيش به الجدل، حتى يقذف بالسباب، ويلفظ بالكلام من قبل أن يقيم له وزناً.

والعرب تقول في أمثالها: =عند النطاح يُغْلَبُ الكبش الأجم+؛ لأنه فعل ذلك من غير عُدَّةٍ هَيَّأها.[2]

ثم إن حق الإعراض والتخطئة، والتصدي للمحاورة لا يَتَأَتَّى لجاهل في مواجهة عالم، بل ولا يقبل منه.

ومن لايعلم لا يصح له أن يتصدى لمن يعلم، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

ولا يلزم من لديه علم أن يدخل في كل حوار؛ بل ينبغي له أن لا يدخل حواراً إلا وهو عالم به؛ إذ أن مجرد علمه في الأصل لا يكفي.

وخير ما يستعين به المحاور عند إرادته الحوار في موضوعٍ ما_أن يجمع أطراف الموضوع، ويتصور جميع احتمالاته، ووجوهه، وأن يطلع على ما كتب فيه سواء من المؤيدين أو المعارضين، وأن يكون ذا نظرٍ ثاقبٍ، وخبرة عالية بظروف المكان والزمان، وتطورات العلوم والمعارف، وطبائع النفوس ونزواتها.

---

[1] () الأمثال لأبي عبيد ص 215.
[2] () الأمثال لأبي عبيد ص 215.

وكلما كان أحسن في عرض معلوماته وإثبات أفكاره_كلما كانت الاستجابة له أدعى وأكبر[3].

ن_إصدار الأحكام في مستهل الحوار:

فمن المحاورين من يكون على بَيِّنةٍ من أمره، وعلى علم بمادة حواره، ولكنه يتعجل النتائج، فيصدر أحكامه في بداية حديثه، ويجهر برأيه الصريح في مستهل حواره، وهذا مما قد يسبب ردّ كلامه، والاعتراض عليه، والنفور منه ولو كان الحق معه.

فمن الحكمة أن يتدرج المحاور في طرح أفكاره، ومن حسن السياسة أن لايجهر برأيه الصريح في صدر مقاله.

وإنما يبتدأ بما يخف على المخاطبين سماعه من المعاني الحائمة حول الغرض، ثم يعبر عن المراد بلفظ مجمل، ثم يدنو من إيضاحه شيئاً فشيئاً، حتى لا يفصح عنه إلا وقد أَلِفَتْهُ نفوسهم، وهدأت له خواطرُهم.

وعلى هذه الطريقة جرى مؤمنُ آل فرعونَ؛ فقد كان يكتم إيمانه وهو يحب أن يظهره، ويدعو قومه إلى مثله.

وكان يخشى بادرةَ غضبهم أو انتقامهم منه إذا هو صَرَّح بعقيدته.

وعندما أجمعوا على قتل موسى_عليه السلام_بادر هذا المؤمنُ الفرصةَ، واغتنم هذا الوقت، فقام ينكر عليهم هذه المؤامرة المخزية، وتَخَلّصَ إلى أن دعاهم إلى الإيمان بما بُعث به هذا الرسول دعوة ظاهرة.

---

(3) انظر في أصول الحوار ص 33_34، والدعوة إلى الإصلاح ص 54_55.

قال_تعالى_: [**وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلـون رجلاً أن يقـول ربـي اللـه وقد جاءكم بالبينات من ربكم**] (غافر: 28).

فلقد فاتحهم بالإنكار على قتله، وهذا لايـدل علـى أنـه مُصـَدِّقٌ برسـالته؛ إذ قـد ينهـى العاقـل عـن سـفك دم الرجل وهو مـن أبغـض النـاس إليـه؛ تألمـاً مـن مشـهد الظلم، أو حذراً مما ينشأ عنه فتنة.

ودل بقـوله: [**أن يقول ربـي اللـه**] علـى مـا لهـذا الرجل من فضل في العقيدة، وأدمأ إلـى أنـه لـم يجيء شيئاً نكراً يستحق به هذه العقوبة الصارمة.

وذكّرهـم إذ قـال: =**وقـد جـاءكم بالبينـات مـن ربكم**+بالدلائل القائمـة علـى صـدقه فـي دعـوى هـذه الرسالة، وأخذ يَتَقَـرَّب بهـذه الجملـة مـن دعـوتهم إلـى ربه، ولم يرد التظاهر أنه من شيعته، فعزل نفسه عمـن جاءهم بهذه البينات، وأضاف مجيئهـا إليهـم خاصـة، ثـم استرسل في مـوعظته المنسـوجة، ودعـاهم إلـى ديـن الحق بقوله الصريح كمـا قـال_تعـالى_عنـه: [**ويـاقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلـى النـار، تدعونني لأكفر بالله، وأشرك به ما ليس لي بـه علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار**] (غـافر: 41_42).

ولـو أنـه فـاتحهم بهـذه الـدعوة الصـريحة فـي بدايـة خطابه لربما ردوه، ولم يقبلوا منه شيئاً البتة.[1]

س_قلة المراعاة لعامل الزمان والمكان:

---

[1]() انظر الدعوة إلى الإصلاح ص 63_64.

وذلك بأن يكون الحوار في زمانٍ ضيّقٍ لايتسع للأخذ والرد، كأن يكون قبيل وقت صلاةٍ، أو أن يكون أحدهما على جناح سفر، أو يكون مستعداً لنوم، أو نحو ذلك.

ومن ذلك أن يكون الحوار في مكان مليء بالناس؛ فذلك مدعاة للرياء، والعناد، والحرص على الغلبة، والإطاحة بالخصم.

والأولى أن يكون في مكانٍ محدد؛ فذلك أجمعُ للفكرة، وأدعى لقبول الحق، وأقرب لصفاء الذهن، وأسلم لحسن القصد.

ع_التشعّب في الحوار، والخروج عن المضمون:

فهذا من آفات الحوار، ومما يفقده أهميته، ويقلل الفائدة المرجوة منه.

فينبغي للمتحاورين أن يكون كلاهما ملائماً للموضوع، ليس فيه خروج عما هما بصدده.[1]

ف_محاورة ذي المهابة العظيمة:

فلا يحسن بالمرء أن يدخل حوار مع أهل المهابة العظيمة والاحترام الوافر؛ كيلا تدهشَه وتذهله جلالة محاوره عن القيام بحجته كما ينبغي.[2]

أما إذا كان المرءُ رابط الجأش، ساكن النفس، عالماً متيقناً بأن مهابة محاوره لن تقصره عن الإبانة عما لديه_فلا بأس بالمحاورة حينئذ.

30_الجدال والمراء والخصومة:

---

[1] () انظر آداب البحث والمناظرة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي 2/76.

[2] () انظر آداب البحث والمناظرة 2/76.

وهـذا دأب كـثير مـن النـاس سـواء فـي أحـاديثهم ومنتـدياتهم، أو فـي مطالبـاتهم وخصـوماتهم، فـتراهم يتجادلون ويتمارون عند كل صغيرة وكبيرة.

لا لجلب مصلحة، ولا لدرء مفسدة، ولا لهدف الوصول إلى الحق والأخذ به، وإنما رغبةً فـي اللـدد والخصـومة، وحبّاً في التشفي من الطرف الآخر.

ولهذا تجد الواحـد مـن هـؤلاء يُسـَفِّه صـاحبه، ويـرذل رأيه، ويرد قوله.

فلا يمكـن والحالـة هـذه أن يصـل المتجـادلون إلـى نتيجة طالما أن الحق ليس رائدَهم ومقصودَهم.

وإذا الخصمان لم يهتـديا غـــــــــــــــــــبر[1]

فالجـدال والمـراء علـى هـذا النحـو مجلبـة للعـداوة، ومدعاة للتعصب، ومطية لاتباع الهوى.

بل هو ذريعـة للكـذب، والقـول علـى اللـه بغيـر علـم خصوصاً إذا كـان ذلـك فـي مسـائل الـدين، وهـذا أقبـح شيء في هذا الباب.

قال الإمام النووي×: =مما يذم من الألفـاظ المـراء، والجدال، والخصومة.

قال الإمام أبو حامد الغزالي: المراء طعنـك فـي كلام الغير لإظهار خلل فيه؛ لغير غـرض سـوى تحقيـر قـائله، وإظهار مزيتك عليه.

قـال: وأمـا الجـدال فعبـارة عـن أمـر يتعلـق بإظهـار المذاهب وتقريرها.

قال: وأما الخصومة فلجاج فـي الكلام؛ ليسـتوفي بـه مقصوده من مال أو غيره.

---

[1]() خواطر الحياة لمحمد الخضر حسين ص 77.

وتارة يكون ابتداءً، وتارة يكون اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً هذا كلام الغزالي+.[1]

ثم قال الإمام النووي×: =واعلم أن الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل، قال الله_تعالى_: [**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**] (العنكبوت:46).

وقال_تعالى_: [**ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا**] (غافر: 4).

فإن كان الجدالُ الوقوفَ على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً.

وعلى هذا التفصيل تنزيل النصوص الواردة في إباحته وذمه+[2].

ثم قال×: =قال بعضهم: ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقصَ للمروءة، ولا أضيع لِلّذة، ولا أثقل للقلب من الخصومة.

فإن قلت لا بد للإنسان من الخصومة؛ لاستبقاء حقوقه_فالواجب ما أجاب به الإمام الغزالي أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل أو بغير علم، كوكيل القاضي؛ فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم_أيضاً_من يطلب حقه، لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد، والكذب؛ للإيذاء والتسليط على خصمه.

---

[1] () الأذكار ص 329_330.

[2] () الأذكار ص 330.

وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي، وليس إليها حاجة في تحصيل حقه.

وكذلك من يحمله على الخصومة محضُ العناد؛ لقهر الخصم وكسره، فهذا هو المذموم.

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد أو إسراف، أو زيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء_ففعله هذا ليس حراماً.

ولكن الأولى تركه ماوجد إليه سبيلاً؛ لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر.

والخصومة تُوْغِرُ الصدر، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كلٌّ واحد منهما بمساءة الآخر، ويحزن بمسرته، ويطلق العنان بعرضه.

فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيه اشتغال القلب، حتى يكونَ في صلاتِه، وخاطرُه معلّق بالمحاجّة والخصومة، فلا يبقى حاله على الاستقامة.

والخصومة مبدأ الشر، وكذلك الجدال والمراء؛ فينبغي ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها، وعند ذلك يحفظ لسانه وقلبه من آفات الخصومات+.[1]

ولما كان هذا هو شأن الجدال والمراء والخصومة تجنب السلف ذلك، وحذروا منه، وورد عنهم آثار كثيرة فيه.

قال ابن عباس_رضي الله عنهما_: =كفى بك ظلماً ألا تزال مخاصماً، وكفى بك إثماً ألا تزال مماريا+.[2]

---

[1] () الأذكار ص 330_331 وانظر إحياء علوم الدين للغزالي 3/116_120.

[2] () بهجة المجالس 2/429.

وقال ابن عباس لمعاوية_رضي الله عنهما_: =هل لك في المناظرة فيما زعمت أنك خاصمت فيه أصحابي؟.

قال: وما تصنع بذلك؟ أشْغَبُ بك وتشغب بي، فيبقى في قلبك ما لاينفعك، ويبقى في قلبي ما يضرك+.[1]

وقال ابن أبي الزناد: =ما أقام الجدلُ شيئاً إلا كسره جدلٌ مثله+.[2]

وقال الأوزاعي: =إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل+.[3]

وقال الأصمعي: =سمعت أعرابياً يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلَّتْ كرامته، ومن أكثر من شيء عُرف به+.[4]

وأخرج الآجُرِيُّ بسنده عن مسلم بن يسار× أنه قال: =إياكم والمِراءَ؛ فإنه ساعةُ جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلّته+.[5]

وأخرج أن عمر بن عبدالعزيز× قال: =من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل+.[6]

وقال عبدالله بن حسين بن علي_رضي الله عنهم_: =المراء رائد الغضب؛ فأخزى الله عقلاً يأتيك بالغضب+.[7]

---

[1] () بهجة المجالس 2/429_430.
[2] () بهجة المجالس 2/430.
[3] () بهجة المجالس 2/430.
[4] () بهجة المجالس 2/430.
[5] () الشريعة للآجري ص 56، وانظر الحجة في بيان المحجة للأصبهاني 1/280.
[6] () الشريعة للآجري ص 56، وانظر الحجة في بيان المحجة للأصبهاني 1/280.
[7] () بهجة المجالس 2/429.

وقال محمد بن علي بن حسين _رضي الله عنهم_: =الخصومة تمحق الدين، وتنبت الشحناء في صدور الرجال+.[1]

وقيل لعبدالله بن حسن بن حسين: =ما تقول في المراء؟.

قال: يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة.

وأقل ما فيه أن يكون دريئة للمغالبة، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة+.[2]

وقال جعفر بن محمد×: =إياكم وهذه الخصوماتِ؛ فإنها تشغل القلب+.[3]

وقال ثابت بن قرة×: =إياكم وهذه الخصومات، فإنها تحبط الأعمال+.[4]

وقيل للحكم بن عتيبة الكوفي×: =ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء؟ قال: الخصومات+.[5]

وما أجمل قول الشافعي×حين قال:

قالوا سكتَّ وقد خُصِمتَ وما دروا ... إن الجوابَ لِبَابِ الشَّرِّ مفتاحُ

والصمت عن جاهلٍ أو أحمقٍ ... وفيه أيضاً لصون العرض إصلاحُ

أما ترى الأسْدَ تُخشى وهي صامتةٌ ... وهو نباحُ[6]

31_حب المعارضة والمخالفة:

فمن الناس من هو محب للمعارضة، كَلِفٌ بالمخالفة، لا يوافق إخوانه على أمر، ولا يسلم لهم بشيء.

---

[1] () بهجة المجالس 2/429.

[2] () بهجة المجالس 2/429.

[3] () شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي 1/128_129.

[4] () شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي 1/128_129.

[5] () الحجة في بيان الحجة 1/285.

[6] () ديوان الشافعي في تحقيق خفاجي ص 88.

فإذا كان في قومٍ يتبادلون أطراف الحـديث أشـغلهم بكثرة شغبه واعتراضه.

وهـذا المسـلك ليـس بسـديد و لا رشـيد؛ إذ المـروءة تقتضـي موافقـةَ المـرءِ إخـوانَهُ إذا أصـابوا، وتسـديدهم برفق إذا أخطأوا، وأن يتوقف إذا لم يستبن له الصــواب من الخطأ.

فالموافقة وقلة المعارضـة تجلـب المحبـة، وتسـتديم الألفــة، وكــثرة المعارضــة وقلــة الموافقــة تســتدعي المباغضة، وتقود إلى العداوة.

قال الشافعي×:

أُحِـبُّ مـن الإخـوان كـلَّ وكلَّ غضيضِ الطَّرْفِ عن
يـوافقني فـي كـلِّ أمـرٍ ويحفظنــي حيــاً وبعــد
فمن لي بهذا؟ ليت أنـي لقاســمته مــالي مــن

وقال ابن حزم×: =إياك ومخالفةَ الجليس، ومعارضة أهل زمانك فيما لا يضرك في دنياك ولا في آخرتــك وإن قل؛ فإنك تستفيد بذلك الأذى، والمنافرة، والعداوة.

وربما أدى ذلـك إلـى المطالبـة والضـرر العظيـم دون منفعة أصلاً +.[2]

وقــال الخطــابي×محــذراً مــن هــذا الأمــر: =وقــال بعضهم: إن من الناس من يولع بالخِلاف أبـداً، حـتى إنـه يرى أن أفضل الأمور ألا يوافـق أحـداً، ولا يجـامعه علـى رأي، ولا يواتيه على محبة.

ومن كان هذا عادَتَه فإنه لايبصر الحق، ولا ينصـره، ولا يعتقده ديناً ومذهباً.

---

(1) ديوان الشافعي ص 84.

(2) الأخلاق والسير ص 61.

إنما يتعصب لرأيه، وينتقم لنفسه، ويسعى في مرضاتها، حتى لو أنك رُمْتَ أن تَتَرَضّاه، وتوخَّيتَ أن توافقه على الرأي الذي يدعوك إليه_تَعَمَّدَ لخلافك فيه، ولم يرض به حتى ينتقل إلى نقيض قوله الأول.

فإن عُدت في ذلك إلى وفاقه عاد فيه إلى خلافك.

قال أبو سليمان الخطابي: فمن كان بهذه الحال فعليك بمباعدته، والنِّفار عن قربه؛ فإن رضاه غايةٌ لا تدرك، ومدى شأوه لا تُلحق+.[1]

ثم أورد×أمثلة لذلك، فقال: =أخبرني ابن التِّعْياني، قال: أخبرنا الزَّجاج، قال: كنا عند المبرّد أبي العباس محمد، فوقف عليه رجل، فقال: أسألك عن مسألة في النحو؟.

قال: لا، فقال: أخطأت، فقال: ياهذا! كيف أكون مخطئاً أو مصيباً ولم أُجِبْك عن المسألة بعدُ؟!.

فأقبل عليه أصحابه يُعَنِّفُونه، فقال لهم: خَلُّوا سبيله، ولا تَعَرَّضوا له، أنا أخبركم بقصته؛ هذا رجل يحب الخلاف، وقد خرج من بيته وقصدني على أن يخالفني في كل شيء أقوله، ويخطِّئني فيه، فسبق لسانُه بما كان في ضميره+.[2]

32_بذاءة اللسان، والتفحش في القول:

فبذاءة اللسان، والتفحش في القول_من خوارم المروءة، ومن أمارات القِحَة والصفاقة؛ فالحياء في الكلام يتطلب من المسلم أن يُنزِّهَ لسانه من الفحش، وأن يُطَهّره من البذاءة، وأن يُجِلَّه من ذكر العورات؛

---

[1] () العزلة للخطابي ص 166.

[2] () العزلة للخطابي ص 166_167.

فإن من سوء الأدب أن تفلت الألفاظ البذيئة من المـرء غير عابىء بمواقعها وآثارها.[1]

والمروءة تحفظ لسـان صـاحبها مـن أن يلفـظ مثلمـا يلفظ أهل الخلاعة من سفه القول.

وحذارِ من سَفَهٍ يشـينك زاري[2]

=وعظماء الرجـال يلـتزمون فـي أحـوالهم جميعـاً ألا تبدر منهم لفظة نابية، ويتحرجون مع صـنوف الخلـق أن يكونوا سفهاء أو متطاولين+.[3]

قـال الإمـام النـووي×: =ومما ينهـى عـن الفحـشُ، وبذاءة اللسان.

والأحاديث الصحيحة فيه كثيرة و معروفة.

ومعناه: التعبير عن الأمور المستقبحة بعبارة صـريحة وإن كانت صحيحةً، والمتكلم بها صادقاً.

ويقع ذلك كثيراً في ألفاظ الوقاع ونحوها.

وينبغي أن يسـتعمل فـي ذلـك الكنايـاتُ، ويعـبر عنهـا بعبارة جميلة يفهم بها الغرض.

وبهذا جاء القرآن العزيز، والسنن الصحيحة المكرمة، قال الله_تعالى_: [**وأُحِلَّ لكم ليلة الصـيام الرفـث إلى نسائكم**] (البقرة: 187).

وقـال_تعـالى_: [**وكيـف تأخـذونه وقـد أفضـى بعضكم إلى بعض**] (النساء: 21).

وقـال_تعـالى_: [**وإن طلقتمـوهن مـن قبـل أن تمسوهن**] (البقرة: 237)

والآيات، والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة.

---

[1] () انظر خلق المسلم ص 81.

[2] () انظر رسائل الإصلاح 1/211.

[3] () خلق المسلم ص 81.

قال العلماء: فينبغي أن يُستعمل في هذا وما أشبهه من العبارات التي يستحيا من ذكرها بصريح اسمها_الكنايـاتُ المفهمـةُ، فَيُكنّى عن جماع المرأة بالإفضاء، والدخول، والمعاشرة، والوقاع، ونحوها+.[1]

قال: =وكذلك يُكنّى عن البول والتغوّط بقضاء الحاجة، والذهاب إلى الخلاء، ولا يصرح بالخراءة والبول ونحوهما.

وكذلك ذكر العيوب كالبرص، والبخر، والصنان، وغيرها يعبر عنها بعبارات جميلة، يفهم منها الغرض.

ويلحق بما ذكر من الأمثلة ما سواه+.[2]

قال القاسمي: =وإياك وما يستقبح من الكلام؛ فإنه يُنَفِّر عنك الكرام، ويُوَثِّب عليك اللئام+.[3]

وعن عبدالله بن مسعود÷قال: قال رسول الله": =**ليس المؤمن بالطّعّان، ولا اللعّان، ولا الفاحش البذيء**+.[4]

وعن أنس÷قال: قال رسول الله": =**ماكان الفحش في شيء إلا شانه، وماكان الحياء في شيء إلا زانه**+.[5]

---

[1] () الأذكار للنووي ص 334.
[2] () الأذكار ص 334.
[3] () جوامع الآداب ص 6.
[4] () أخرجه أحمد 1/404، والترمذي (1977) والبخاري في الأدب المفرد (332) والبغوي في شرح السنة (3555) وابن أبي شيبة 11/18 كلهم عن ابن مسعود، وقال الترمذي =حديث حسن غريب + وصححه أحمد شاكر في شرحه للمسند (3839) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (237).
[5] () أخرجه أحمد 3/165، والترمذي (1974) وابن ماجه (4185) والبخاري في الأدب المفرد كلهم عن أنس (601) وقال الترمذي = حسن غريب + وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (

ومما يدخل في فحش القول السبُّ، والشتم، واللعن.

ومما يدخل فيه_أيضاً_ماكان مستنكر الظاهر، وإن كان معناه سليماً بعد تدقيق النظر فيه.

وقال الماوردي×: =ومما يجري مجرى فحش القول وهُجْره في وجوب اجتنابه، ولزوم تنكبه_ماكان شنيع البديهة، مستنكر الظاهر، وإن كان عقب التأمل سليماً، وبعد الكشف والروية مستقيماً+.[1]

ثم ساق أمثلة لذلك×.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا ينبغي التصريح بالعبارات القبيحة المستكرهة مالم تَدْعُ حاجةٌ_كما مر_.

أما إذا دعت الحاجة للتصريح بصريح الاسم فلا بأس بذلك، بل هو المتعين.

قال النووي بعد أن تحدث عن أنه ينبغي تجنب الفحش وبذاءة اللسان: =واعلم أن هذا كلَّه إذا لم تدع حاجةٌ إلى التصريح بصريح اسمه، فإن دعت الحاجة لغرض البيان والتعليم، وخيف أن المخاطب يفهم المجاز، أو يفهم غير المراد_صُرّح حينئذٍ باسمه الصريح؛ ليحصل الإفهام الحقيقي.

وعلى هذا يحمل ما جاء في الأحاديث من التصريح بمثل هذا؛ فإن ذلك محمول على الحاجة كما ذكرنا؛ فإن تحصيل الإفهام في هذا أولى من مراعاة مجرد الأدب، وبالله التوفيق+.[2]

33_التّقَعّرُ في الكلام:

---

469).

[1] () أدب الدنيا والدين ص 284.

[2] () الأذكار ص 334_335.

التقعـر أو التقعيـر فـي الكلام هـو أن يتكلـم المـرء بأقصى قعر فمه؛ إظهاراً لفصاحته، وتميزه، وبراعته.

وذلـك ممقـوت مـذموم؛ لمـا فيـه مـن قصـد التكلـف البعيد عن الطبع، ولما يحـويه مـن تتبـع الوحشـي الـذي ينفر منه السمع، ولمـا يتضـمنه مـن التشـادق والتعمـق والإغراق في القول.

قـال الإمـام النـووي×: =ويكـره التقعيـر فـي الكلام بالتشـدق، وتكلـف السـجع، والتصـنع بالمقـدمات الـتي يعتادها المتفاصحون، وزخارف القول.

فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك تكلف السجع، وكذلك التحري في دقائق الإعراب، ووحشي اللغـة فـي حال مخاطبة العوام.

بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظاً يفهمـه صـاحبه فهماً جلياً، ولا يستثقله+.[1]

قال_عليه الصلاة والسلام_: =**وإن أبغضـكم إلـيَّ، وأبعـدكم منـي فـي الآخـرة_أسـوؤكم أخلاقـاً الثرثارون، المتفيهقون، المتشدقون**+[2].

وقال: =**إن الله يبغض البليغ من الرجال الـذي يتخلل بلسانه كما تَخَلَّلُ الباقرة**[3] **بلسانها**+[4].

وليـس معنـى ذلـك أن لايحـرص المـرء علـى حسـن منطقـه، ورشـاقة لفظـه، وجـودة عبـارته، فيلجـأ إلـى

---

[1] () الأذكار ص 331.

[2] () مضى تخريجه ص 5.

[3] () الباقرة: البقرة.

[4] () أخرجه أحمد 2/165_187، وأبو داود(5005)، والترمذي (2853)، كلهم عن عبد الله بن عمر، وقال الترمذي =حسن غريب+ وصححه أحمد شاكر في شرحه للمسند (6543) وصححه الألباني في صحيح الجامع (1871).

الألفاظ السوقية المبتذلة؛ فراراً من التكلف والتقعير بزعمه.

وإنما المقصود أن لايُغْرقَ في التكلف فيتعدى حدود الذوق.

وإلا فإن حسنَ المَنْطِق، وروعة البيان من مظاهر المروءة الصادقة، ومن أعظم الأسباب الداعية لقبول الحق.

ولهذا قيل: =كلما كان اللسان أبين كان أحمد+.[1]

بل لقد=ذكر الله_تبارك وتعالى_جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان فقال: [**الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان**] (الرحمن: 1_4).

وقال_تعالى_: [**هذا بيان للناس**] (آل عمران: 138).

ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ، وسماه فرقاناً، كما سماه قرآناً+.[2]

ولهذا يحسن بالخطيب والواعظ أن يُهَذِّب ألفاظه، وأن يُجَمِّل كلامه؛ ليقع موقعه في القلوب، فهذا لا يدخل في المذموم بشرط أن لا يتَقَصَّد حوشي الكلام، ولا يتعمد التقعير، ولا يتكلف تكلفاً يخرجه عن طوره.

قال الغزالي×: =ولا يدخل في هذه[3] تحسينُ ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط ولا إغراب؛ فإن المقصود منها تحريك القلوب، وتشويقها، وقبضها، وبسطها؛ فلرشاقة اللفظ تأثير فيه؛ فهو لائق به.

---

[1] () البيان والتبيين للجاحظ 1/11.

[2] () البيان والتبيين 1/8.

[3] () يعني الأمور المذمومة.

فأما المحاورات التي تُجْرى لقضاء الحاجات فلا يليــق بها السجع، والتشدق.

والاشتغالُ به من التكلف المذموم، ولا باعث عليــه إلا الرياء، وإظهار الفصـاحة، والتميـز بالبراعـة، وكـل ذلـك مذموم يكرهه الشرع، ويزجر عنه+.[1]

قال إبراهيـم بـن المهـدي لعبـدالله بـن صـاعد كـاتبه: =إيـاك وتَتَبُّـعَ الوحشـي مـن الكلام؛ طمعـاً فـي نيـل البلاغة؛ فإن ذلك هو العيُّ الأكـبر؛ عليـك بمـا سـهل مـع تَجَنُّبِكَ ألفاظَ السفل+.[2]

وبالجملــة فليحــرص المــرء علــى تجنــب الســوقي القريب، والوحشي الغريب، حتى يكون كلامه حالاً بين حالين، كما قال بعض الشعراء:

عليـك بأوسـاط الأمـور؛ نجاةٌ ولا تركب ذلــولاً ولا [illegible]ً[3]

قال أبو هلال العسـكري: =وأجـود الكلام مـا يكـون جزلاً سهلاً، لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه، ولا يكون مكدوداً مستكرهاً، ومُتوعراً مُتَقَعِّـراً، ويكـون بريئـاً مـن الغثاثة، عارياً من الرثاثة.

والكلام إذا كان لفظه عَتَّاً، ومعرضه رثـاً كـان مـردوداً ولو احتوى على أجلّ معنىً وأنبله وأرفعه وأفضله+.[4]

ومن هنا يتبين لنا أن المذموم مـن الكلام إنمـا هـو مـا كان متكلفاً ومشتملاً على التقعير.

أما حسن المنطق وجمال العبـارة، ورشـاقة الألفـاظ فمحمود مرغوب فيه، خصوصاً إذا كان في بيان الحق.

---

[1] () إحياء علوم الدين 2/121.
[2] () العمدة لابن رشيق 2/266.
[3] () العمدة 1/199 وانظر البيان والتبيين 1/255.
[4] () كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ص 67.

نظر معاوية إلى ابـن عبـاس _ رضـي اللـه عنهمـا _ فأتبعه بصره، ثم قال متمثلاً:

إذا قال لـم يـترك مقـالاً مصيب ولم يَثْـنِ اللسـان
يُصَرِّف بـالقول اللسـان ويَنظر في أعطـافه نظـر[1]

ولحسان بن ثابت في ابن عباس_رضي الله عنهما_:

إذا قال لـم يـترك مقـالاً بمنطلقـات لا تـرى بينهـا
شـفى وكفـى مـا فـي لذي إرْبةٍ في القول جـداً[2]

قال ابن عبدالبر×: =ومن أحسن مـا قيـل فـي مـدح البلاغة من النظم_قول حسان بن ثابت في ابن عباس:

صـموتٌ إذا مـا الصـمت وفَتّـاقُ أبكـار الكلام
وعـى مـا وعـى القـرآن ونيطت له الآداب باللحم[3]

34_الخوض فيما لا طائل تحته:

فأكثر الناس لايكاد ينقطع لهم كلام، ولا تهدأ لألسنتهم حركة، فإذا ذهبـت تحصـي مـا قـالوا وجـدت جلّـه لغـواً ضائعاً، أو هذراً ضـاراً، لا يقـدم ولا يـؤخر، ولا يسـمن ولا يغني من جوع، بل هو إلى الضرر أقرب منه إلى النفع.

فمـا القضـايا الـتي تطـرح، ومـا الموضـوعات الـتي تطرق؟.

إنك لو أجَلْـتَ النظـر فـي مجـالس النـاس، وأصـخت السمع لأحاديثهم_لوجـدت أن جُـلَّ حـديثهم واهتمـامهم إنما هو بطرح قضايا باردة، أو بطرق موضوعات تافهـة، تَنِمُّ عن همم دانية، وعقول خاوية، ولا تَخْطِبُ المعـالي،

---

[1] () بهجة المجالس 1/58، والتمهيد لابن عبد البر 5/179.
[2] () بهجة المجالس 1/58، والتمهيد لابن عبد البر 5/179.
[3] () التمهيد 5/178.

ولا تنشد الكمالات، بل تدور حول الصغائر والسفاسف والمحقِّرات.

فتارة يتحدثون عن الرياضة ومن فاز، ومن هُزم، ومن أُصيب من اللاعبين ومن شُفي؟.

وتارة عن الفن وأخبار أهله، وقراءة مذكراتهم، ومتابعة آخر أعمالهم.

وإن سَمَتْ تلك المجالس قليلاً أغرقت بالحديث عن حطام الدنيا، وعن المصالح الخاصة فحسب.

وإلا مُلئت بتَسَقُّط الأخبار، وتتبع العيوب، ونحو ذلك.

فما لهذا رُكِّبت الألسنة في الأفواه، ولا بهذا تُقدّر نعمة اللسان وموهبة البيان.

لقد أنعم الله على الإنسان بتلك النعمة، وكرَّمه بها على سائر المخلوقات.

وعلى قدر جلال النعمة يعظم حقُّها، ويستوجب شُكْرُها، ويستنكر كنودها.[1]

ولقد بين الإسلام كيف يستفيد الناس من هذه النعمة المسداة، وكيف يجعلون كلامهم الذي يتردد على الألسنة طريقاً إلى الخير المنشود، بدلاً من شغله بما لا ينفع أو ربما ضر.

قال الله_تعالى_: [**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً**] (النساء: 114).

فأولى ثم أولى لتلك المجالس أن تشغل بما ينفع، ولتلك الألسنة أن تلهج بما يعود على أصحابها بالفائدة، وذلك بالتواصي بالبر والتقوى، وبالأمر بالصدقة

---

[1]() انظر خلق المسلم ص 77.

والمعروف والإصلاح بين الناس، أو بالحديث عن مسائل العلم التي يُصَحِّحَ بها الإنسان عقيدته وعمله، أو بالحديث عن أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة، وبيان ما يصيبهم من البأساء واللأواء؛ حتى تنبعث القلوب للتعاطف معهم، وبذل ما يستطاع من مال، أو دعاء، أو نحو ذلك مما يعود بالفائدة في الدنيا والآخرة.

أو أن تشتمل على أخبار الكرام، والشجعان، وذوي المروءات، ونحو ذلك مما يجمع إلى جانب المتعةِ الفائدةَ.

قال المهلب: =خير المجالس ما بَعُدَ فيه مدى الطَّرفْ، وكثرت فيه فائدةُ الجليس+.[1]

35_كثرة التلاوم:

وهذا دأب كثير من الناس، فتراهم في اجتماعاتهم، ومنتدياتهم، وأحاديثهم_يقضون الساعاتِ الطوالَ في التلاوم، وذم الأوضاع، وانتقاد الآخرين، والتشدق بمعالي الأمور دون سعي لها.

قال العلامة محمد الخضر حسين×: =فإذا رأيت قوماً يذكرون في صبحهم ومسائهم شيئاً من معالي الأمور، ولم تَرَهُم يسعون له سعيه، ولا يتقدمون إليه بخطوة_فاعلم أن العزم لم يأخذ من قلوبهم مأخذه، فهم إما أن يكونوا عن حقيقته وشرف غايته غائبين، وإما أنهم ضلوا طريقه وما كانوا مهتدين+.[2]

وإذا كان الأمر كذلك فإن تحقيق الأماني، وبلوغ الغايات لا ينال بكثرة التلاوم، ولا باجترار الأحزان على الماضي، والندم على مافات؛ فهذا ضرب من البطالة.

---

[1] () رسائل الإصلاح 1/68.

[2] () عيون الأخبار 1/306.

وإنما يكون بالجد، والعمـل، وتـرك التـواني والكسـل، واغتنام كل فرصة يُتَقدم بها نحو الأمام خطوة، فهذا آيـة الكيس، وعنوان الحزم.

36_كثرة الشكوى إلى الناس:

فما أكثر ما يـرى مَـنْ ديـدُنُهُ وهجيـراه الشـكوى إلـى الناس، وكثرة التسخط.

فلا يعجبه أحد، ولا يروقه شيء.

فإذا ما جلس مجلساً بثَّ شكاته إلى جُلاّسه، وآذاهــم بكثرة اعتراضه وتسخطه.

فــتراه يشــكو فقــره، وأولاده، وزوجتــه، ودابتــه، ومزرعته، وعمله، ومديره، ومن تحت يده، وربما شـكى الحر والقر وهكذا...

فهذا الصنيع دليل على ضعة النفس، وسـقوط الهمـة، وقلة التحمل.

ثــم إنــه مــدعاة لكراهيــة النــاس لــذلك الشــخص، وتكذيبهم لحديثه، بل ربما أظهروا له الشـماتة، وفرحـوا بمصابه.

ثـم إنـه هـذا العمـل يُسَـوّغ للمـرء إخفـاقه، وعجـزه، وكسله، فلا يسعى لتكميل نفسه، وإصلاح عيوبه.

فاللائق بالمسلم العاقـل أن يخـزن عليـه لسـانه، وأن يتحلى بالصبر الجميل، الذي لا جزع فيه ولا شـكوى، وألا يشكو إلا إلى ربـه، وألا ينـزل حاجـاته إلا ببـابه؛ فالنـاس لايملكون له ضراً ولا نفعاً.

ولهذا =رأى بعض السلف رجلاً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته_فقال: يا هذا، والله مازدت علـى أن شـكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك+.[1]

---

[1]() الفوائد لابن القيم ص 131.

وإذا شكوتَ إلى ابنِ آدمَ إنما تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحمُ

37_كثرة الحديث عن النساء:

وليس المقصود ههنا ما يدور في مجال الخنا، والفسق، والفجور من تشبيب، ومجون، وخلاعة سافرة؛ فلهؤلاء حديث آخر.

وإنما المقصود في هذا المقام ما يدور في بعض المجالس العامة، وربما كان ذلك في بعض مجالس الفضلاء ممن يتوسم فيهم الخير، والديانة، والمروءة.

فتجد أن تلك المجالس تعمر بذكر النساء، ويُكْثِرُ مرتادوها من الحديث عنهن.

وربما كانت تلك المجالس ميداناً للتنافس، والتفاخر، والتحدي؛ فهذا يفاخر بأنه قد عدَّد، وهذا يتحدى صاحبه بأن يتزوج بثانية، وهذا يزري بالآخرين؛ لاقتصارهم على واحدة.

بل ربما تمادى بهم الأمر، فتعمقوا في ذكر النساء، وأغرقوا في وصف محاسنهن، وأصبح ذلك دَأْبَهُمْ وديدنهم، بل ربما كان ذلك بحضرة الصبيان والسفهاء.

قال الأحنف بن قيس×: =جنِّبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام؛ إني أبغض الرجل يكون وصّافاً لفرجه وبطنه+.[1]

وليس المقصود من هذا أن يمنع الحديث عن النساء بإطلاق، ولا أن يُتَرَّبَ على من يلم بالحديث عنهن لماماً، وفي أحايين متفرقة، وأوقات مناسبة.

وإنما المقصود ألا يكون ذلك سمة في المرء، وديدناً وعادةً له، يتحدث به عند كل أحد، بمناسبة وبغير مناسبة؛ فكمال المروءة ألا يكثر المرء من الحديث عن

---

[1] () سير أعلام النبلاء 4/94.

النساء على نحو ما سبق؛ لأن في كثرة الحديث عنهن خدشاً للمروءة، وإسقاطاً للهيبة، وإضاعة للوقت، واشتغالاً عما هو أولى وأحرى.

38_كثرة الهزل:

فهناك من الناس من يغلب عليه طابع الهزل، فلا يعرف للجد سبيلاً، ولا لمعالي الأمور طريقاً.

فإذا جلس مجلساً أضفى عليه ما أضفى من هزله، وتخاذله، ورخاوته، وملأه بهزئه، وسخريته، وكلامه السمج الذي يسمونه=التنكيت+الخارج عن حدود الأدب واللياقة؛ فإن هؤلاء المُنَكّتين ينالهم الذل والصغار، واحتقار العقلاء لهم، فيكبرون وهم الأصغرون.[1]

وليس معنى ذلك أن ينقبض المرء في مجلسه، وأن يثقل على من حوله_بقدر ما هي دعوة لتخليص تلك المجالس من أن تتمحض للهزل.

ومن أمثال العرب السائرة قولهم: =الانقباض عن الناس مَكْسَبةٌ للعداوة، والإفراط في الأنس مكسبة لقرناء السوء+.[2]

39_كثرة المزاح:

وهذا الأمر قريب من سابقه، فبعض الناس يغلب عليه كثرة المزاح، وربما أسفّ فيه، ومزح مع من لايرغب في المزاح.

وهذا الأمر لاينبغي؛ فالمزاح يسقط الهيبة، ويخل بالمروءة، ويُجَرّئُ السفهاء، ويستجلب العداوات.

---

[1] () انظر جوامع الآداب ص 27.

[2] () الأمثال لأبي عبيد ص 220.

قيل في بعض منثور الحكم: =المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النارُ الحطب+.[1]

وقال بعض الحكماء: =من كثر مزاحُه زالت هيبتُـه+.[2]

وقال الإمام ابن عبـدالبر×: =وقـد كـره جماعـة مـن العلماء الخوض في المزاح؛ لما فيه مـن ذميـم العاقبـة، ومـن التوصـل إلـى الأعـراض، واسـتجلاب الضـغائن، وإفساد الإخاء+.[3]

وقال ميمون بن مهران: =إذا كان المزاح أمام الكلام فآخره الشتم واللطام+.[4]

وقال أبو هفان:

مازحْ صـديقَك مـا أحـبـ ... ـبَ وتـوقَّ منـه فـي المـزاح

فلربمـا مـزح الصـديق ... مفتاحـــــــــــا[5]

وقال ابن وكيع:

لاتمزحنَّ فإن مزحت فلا ... مزحاً تضافُ به إلى سوء

واحـذر ممازحـةً تعـود ... الغضـــــــــــب[6]

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري:

لـي صـاحبٌ ليـس يخلـو ... لسـائُه عـن جـراح

يجيـد تمزيـقَ عرضـي ... علـى سـبيل المزاحـي[7]

---

[1] () أدب الدنيا والدين ص 310.
[2] () أدب الدنيا والدين ص 310.
[3] () بهجة المجالس 2/569.
[4] () الآداب الشرعية لابن مفلح 2/223.
[5] () بهجة المجالس 2/570.
[6] () بهجة المجالس 2/270.
[7] () بهجة المجالس 2/270_271.

وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصي ابنه كداماً:

إنـــي مَنَحْتُـــكَ ياكـــدام فاسـمع لقـول أبٍ عليـك
أمــا المزاحــةُ والمــِرّاءُ خُلُقَـــــان لا أرضـــــاهما
أَنِـــي بلوتُهمـــا فلَـــم لْمجـاورٍ جـارٍ ولا لصـديق
والجهـل يـزري بـالفتى عـــــــــــــــــروق[1]

وقال محمد الخضر حسين: =والمروء تنادي صـاحبها أن يسود مجلسه الجد والحكمة، وأن لا يلـم بـالمزاح إلا إلماماً مؤنساً في أحوال نادرة.

ووجـه ذلـك أن الـذي يسـرف فـي المـزاح يكـثر منـه الوقوع في لغو الحديث، ولا يخلو أن تصدر منـه كلمـات تؤذي بعض جلسائه.

وكمال الإنسانية لا يلتقي بلغو الحديث، أو إيذاء بعـض الإخوان في مجلس+.[2]

والمقصـــود أن المـــزاح لا ينبغـــي الإكثـــار منـــه، ولا الإسفاف فيه.

أما ماعدا ذلك فيحسن؛ لما فيه من إينـاس الجليـس، وإزالة الوحشة، ونفي السآمة.

وإنما المزاح في الكلام كالملح في الطعام إن عُدِمَ أو زاد على الحد فهو مذموم.

أَفِـــدْ طَبْعَـــكَ المكـــدودَ يَجِـمَّ وعَلِّلْـه بشـيء مـن
ولكن إذا أعطيتَه المـزحَ مـــــــن الملـــــــحِ[3]

40_كثرة الحلف:

---

[1] () بهجة المجالس 2/430_431.
[2] () رسائل الإصلاح 1/212.
[3] () أدب الدنيا والدين ص 311.

فمن الناس من يجري الحلف على لسانه كثيراً بمناسبة وبدون مناسبة.

فإذا تحدث إلى أحد بحديث أكثر من الحلف، ولو لم يطلب منه ذلك.

وإنما يحلف لجريان ذلك على لسانه، أو لأنه يريد تأكيد كلامه؛ ليجد قبولاً في قلوب السامعين.

وربما كانت تلك الحلفةُ حِلفةَ فاجرٍ لا يبر فيها ولا يصدق.

فينبغي للمسلم أن يتجنب كثرة الحلف ولو كان صادقاً؛ ذلك أن كثرة الحلف تدل على قلة وقار الله في قلب العبد.

قال_تعالى_: [**واحفظوا أيمانكم**] (المائدة: 89).

فحفظ اليمين، وقلة الحلف دليل على تعظيم الله_عز وجل_.

بل إن ذلك من مقومات المروءة، ومما يتمدح به حتى عند أهل الجاهلية.

قال أحد الشعراء يمدح رجلاً:

قليل الألايا حافظٌ ليمينه وإن بدرت من الألَيَّةُ زلَّتِ

والألايا جمع ألَيَّة، والألَيَّةُ بالتشديد هي اليمين.

=وقال بكار السيريني: صحبت ابن عون دهراً فما سمعته حالفاً على يمين بَرَّةٍ ولا فاجرة+.[1]

أما إذا احتاج المسلم إلى اليمين أو طلبت منه_فلا بأس في ذلك.

41_تتبع عثرات الجليس:

فهناك من إذا جلس إليه أحد من الناس، ثم شرع في حديث ما_بدأ بتتبع عثراته، وتصيد زلاته؛ فما أن ينبس

---

[1] () سير أعلام النبلاء 6/366.

المتحدث بكلمة عوراء أو نحوها_إلا ويحفظها، ويتروَّاها، ويُذكِّره بها بين الفينة والأخرى.

ومن هنا تجد أن الناس ينفرون من ذلك الشخص، ويتحفّظون من الكلام معه في أي أمر.

وليس ذلك الفعل من المروءة في شيء، بل المروءة تقتضي أن يتعامى المرء عن عيوب جليسه، وأن يتغاضى عما يصدر منه من خطل أو زلل؛ ليحفظ على جليسه كرامته وعزته.

ثم إن رأى منه أمراً يستوجب التنبيه نبهه بلطف وأدب دون أن يخدش كرامته.

قال بعضهم يمدح قوماً:

وأحلامُ عادٍ لا يخاف إذا نطق العوراءَ غربُ
إذا حُدِّثوا لم يخش سُوءُ بيانٍ[1]

وقال آخر:

جليسٌ لي أخا ثقةٍ كأن حديثه خبره
يَسُرُّكَ حسنُ ظاهرِهِ وتحمد منه مختصره
ويستر عيبَ صاحبه ويستر أنه ستره[2]

42_إظهار الملالة من الجليس:

فهناك من الناس من هو ضَيِّقُ الطعن، كثير الملامة، فإذا ما جلس إليه أحد أظهر الانقباض، وأبدى الضجر، ولم يتحدث إلى جليسه إلا على سبيل الاختصار.

---

[1] () المنتقى من مكارم الأخلاق ص 148.
[2] () بهجة المجالس 1/45.

وإذا أقبل إليه أحد، وتَقَصَّده ليجالسه_لم يَتَطَلَّقْ له، ولم يفرح بمقدمه، بل ربما قابله بالإشاحة والصدود، وبالاكفهرار والعبوس.

وهذا الخلق مما يتنافى مع المروءة؛ إذ المروءة وكمال الأدب يقتضيان أن يتطلّق المرء لجليسه، وأن يظهر له الفرح، وأن يلاطفه بحسن الحديث، ويشكره على تفضله ومجيئه؛ فلجليسك ومن يَتَقَصّدك حق ومكانة.

وكرامُ الناس وساداتهم يقضون هذا الحق، ويكرمون جليسهم ومن يقصدهم حق التكرمة، فيرفعون من قدره، ويعلون منزلته، ولا يرضون أن يهان أو ينال بمكروه مادام في حضرتهم.

=والعرب تجعل الحديث، والبسط، والتأنيس، والتلقي بالبِشْر_من حقوق القِرى، ومن تمام الإكرام.

وقالوا: من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المؤاكلة+.[1]

قال حاتم الطائي:

سلي الجائعَ الغرثان يا إذا ما أتاني بين ناري

أَهَلَّ ابْسط وجهي إنه منكري[2]

وقال مسكين الدارمي:

لحافي لحافُ الضيف مُقَنّعُ[3]

---

[1] () البيان والتبيين للجاحظ 1/10.

[2] () ديوان حاتم الطائي، صنفه بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق د.عادل سليمان جمال، ص 302.وانظر البان والتبيين 1/10.

[3] () غزال مقنع: يعني به الزوجة.

أحـدّثه إن الحـديث مـن يهجـــــــــــــــــع[1]

وقال الآخر:

وإنـــي لطلـــقُ الـــوجه وإن فنائي للقِرى لرحيب

أضـــاحك ضـــيفي قبـــل فيخصب عندي والمكـــان

وما الخصبُ للأضيافِ أن خصـــــــــــــــيبُ[2]

وقيل للأوزاعي×: =ما إكرام الضيف؟

قال: طلاقة الوجه، وطيب الكلام+.[3]

وقال ابن عباس_رضي الله عنهما_:

=أعَزُّ الناسِ عليَّ جليسي، الذي يتخطّى الناس إلـيَّ، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق عليَّ!+.[4]

=وعن ابن عباس أنه سئل: من أكرم الناس عليك؟.

قال: جليسي حتى يفارقني+.[5]

=وقال معاوية÷لعرابـةَ الأوسـيّ: بـم اسـتحققت أن يقول فيك الشماخ:

رأيــت عُرَابَــةَ الأوســيّ إلــى الخيــرات مُنْقَطِــعَ

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجــدٍ تَلَقَّاهــا عُرابــةُ بــاليمينِ

---

[1] () البيان والتبيين 1/10 ويروى البيت: طعامي طعام الضيف والرحل رحله...
قال ابن عبد البر: = قالوا وهو أحسن شيء في الضيافة+.انظر بهجة المجالس 1/296.

[2] () روضة العقلاء ص 161_162.

[3] () روضة العقلاء ص 161

[4] () عيون الأخبار 1/307 وأدب المجالسة ص 33 وبهجة المجالس 1/45.

[5] () بهجة المجالس 1/46وأدب المجالسة ص 33.

فقال عرابةُ: هذا من غيري أولى بك يا أميرَ المؤمنين.

فقال: عزمت عليك لتخبرني.

فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي على صديقي.

فقال: إذاً استحققت+.[1]

وقال الأحنف: =لو جلست إلى مائة لأحببت أن ألتمس رضى كل واحدٍ منهم+.[2]

=وكان القعقاع بن شور إذا جالسه رجل، فعرفه بالقصد إليه_جعل له نصيباً من ماله، وأعانه على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً+.[3]

ولقد كان رسول الله"أكرم الناس لجلسائه، فقد كان يعطي كل واحد من جلسائه نصيبه، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه.[4]

43_تكليف الرّجُل جُلاّسَه بخدمته:

فبعض الناس إذا زاره أحد فجلس إليه_أخذ يأمره، وينهاه، ويكلفه ببعض الأعمال.

وهذا الصنيع ليس من المروءة في شيء؛ إذ المروءة تقتضي القيام بخدمة الزائر، والمبالغة في إكرامه.

قال المقنع الكندي:

وإني لعبدُ الضيفِ ما تشبه العبدا[5]

وقال ابن حبان: =ومن إكرام الضيف طيب الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمة بالنفس؛ فإنه لا يذل من خدم

---

[1] () أدب المجالسة ص 34 وبهجة المجالس 1/46.

[2] () بهجة المجالس 1/45.

[3] () عيون الأخبار 1/306.

[4] () انظر دلائل النبوة لأبي نعيم ص 555.

[5] () بهجة المجالس 2/785.

أضيافه، كما لا يعز من استخدمهم، أو طلب لقراه أجراً+.[1]

= ومن الاحتفاظ بالمروءة أن يتجنّب الرجل تكليف زائريه ولو بعملٍ خفيف، كأن يكون بالقرب من الزائر كتاب فيطلب منه مناولته إياه، أو أن يكون بجانبه الزر الكهربائي فيشير إليه بالضغط عليه؛ لإنارة المنزل+.[2]

أو أن يأمره بإدارة أقداح الشاي على الضيوف، أو نحو ذلك.

=قال عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز: قال لي رجاء بن حيوة: ما رأيت رجلاً أكمل أدباً، ولا أجمل عشرةً من أبيك؛ وذلك أني سهرت معه ليلة، فبينما نحن نتحدث إذ غشي المصباح، وقد نام الغلام، فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد غشي المصباح، أفنوقظ الغلام؛ ليصلح المصباح؟.

فقال: لاتفعل.

فقلت: أفتأذن لي أن أصلحه؟.

فقال: لا، لأنه ليس من المروءة أن يستخدم الإنسان ضيفه، ثم قام هو بنفسه، وحط رداءه عن منكبيه، وأتى إلى المصباح فأصلحه، وجعل فيه الزيت، وأشخص الفتيل، ثم رجع وأخذ رداءه، وجلس، ثم قال: قمت وأنا عمر بن عبدالعزيز، وجلست وأنا عمر بن عبدالعزيز+.[3]

أما إذا قام الزائر وتكرّم بخدمة مزوره فلا بأس في ذلك، خصوصاً إذا كان المزور له حق، أو كان من أهل الفضل والعلم والتقى.

---

[1] () روضة العقلاء ص 261.

[2] () رسائل الإصلاح 1/211.

[3] () عين الأدب والسياسة ص 124.

44_تناجي الاثنين دون الواحد:

فليس من الأدب إذا ضم مجلس ثلاثة أن يتهامس اثنان دون الثالث؛ لأن ذلك يحزنه، ويوحشه، ويجرح شعوره، ويصيبه بالضيق من جَرَّاء جلوسه ساكتاً وحده.

وقد تخالجه الرّيَبُ، وتساوره الظنون، فيظن أنهما ينهشان في عرضه، أو يحطان من قدره، أو يكيدان له مكيدة، فيقوم من المجلس مُوْعَرَ الصدر، محزون القلب.

فللإبقاء على المودة، والمحافظة على الألفة مُنَعَت مناجاة الاثنين دون الثالث إلا أن يستأذناه فيأذن، فلا حرج إذاً؛ لأن المنعَ حَقُّه، فيستباح بإذنه.

وكذلك الحكم لو تناجى ثلاثة دون رابع، أو أربعة من دون خامس، أو خمسة من دون سادس أو أكثر من ذلك؛ لتحقق علة النهي في ذلك كله.

بل العلة هنا أشد تحققاً؛ فإن انفراد جَمْعٍ بالمناجاة من دون واحد أشدُّ إيغاراً لصدره؛ فبدل أن يكون النفور من شخصين يكون من أكثر؛ فالأمر إذاً أعظم، فكان بالمنع أجدر.

ويقاس على ذلك ما إذا كان الحديث بين اثنين دون الثالث بِلُغَةٍ لا يفهمها الثالث.[1]

خصوصاً إذا كان الاثنان يستطيعان الكلام بلغة يفهمها الثالث.

عن ابن مسعود÷قال: قال رسول الله": =**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس؛ أجل إن ذلك يحزنه**+.[2]

---

[1] () انظر الأدب النبوي لمحمد الخولي ص 176_177، وأدب المسلم لمحمد مبيض ص 54.

[2] () رواه البخاري 7/142.

قال ابن حجر×: =قال الخطابي: وإنما قال: يحزنـه؛ لأنه قد يتوهم أن نجواهما إنما هي لسوء رأيهمـا فيـه، أو لدسيسة غائلة له+.[1]

وقال ابن حجر: =وقد نقل ابن بطال عن أشهب عـن مالك قال: لا يتناجى ثلاثة دون واحد، ولا عشرة؛ لأنه قد نُهي أن يترك واحداً.

قال ابن بطال: وهذا مستنبط مـن حـديث البـاب؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد.

قال: وهذا من حسن الأدب لئلا يتقاطعوا+.[2]

قال ابن حجر: =قال المازري ومن تبعه: لا فرق فـي المعنى بين الاثنين والجماعة؛ لوجـود المعنـى فـي حـق الواحد.

زاد القرطـبي: بـل وجـوده فـي العـدد الكـثير أمكـن وأشد؛ فليكن المنع أولى.

وإنما خص الثلاثـة بالـذكر؛ لأنـه أول عـدد يتصـور فيـه ذلـك المعنـى، فمهمـا وجـد المعنـى فيـه ألحـ ق بـه فـي الحكم+.[3]

45_**القيام بما ينافي الذوق في المجالس:**

فالمجالس لها احترامها وحقها، فلا يحسـن بـالمرء أن يصدر منه ما ينافي الذوق فيها، وما يبعث على الكراهـة و الاشمئزاز.

وذلـك أن يَتَجَشـَّأ فـي المجلـس، أو أن يتثـاءب، أو يَتَمَخَّط، أو يبصق في حضرة غيره.

---

[1] () فتح الباري 11/86.
[2] () فتح الباري 11/86.
[3] () فتح الباري 11/86.

ومن هذا القبيل تخليل الأسنان، وإدخال الأصبع في الأنف، وكثرة التنحنح، والقهقهة، والتمطي، والعبث بالشارب واللحية، ونحو ذلك.[1]

فالذي يليق بالمرء إذا جلس في المجلس أن يكون ذا هيبة وأدب ووقار؛ فذلك أكمل لأدبه، وأدعى لاحترامه وتبجيله.

ولئن كان هذا الأدب حسناً مطلوباً في كل مجلس_فَلَهْو في مجالس العلماء والأكابر أولى وأحرى.[2]

46_مزاولة المنكرات في المجالس:

فكما أنه لا يحسن القيام بما ينافي الذوق في المجالس_فكذلك لا يجوز مزاولة المنكرات فيها، كشرب الدخان، وسماع الأغاني، ومشاهدة المحرمات من أفلام خليعة ونحوها.

وكالغيبة والنميمة، والاستهزاء بالدين، وبعباد الله الصالحين ونحو ذلك.

فهذه المجالس مجالس زور وخنا لا يجوز شهودها، ولا السكوت عما يدور فيها لمن حضرها.

47_حضور مجالس اللغو ومداهنة أهلها:

فهناك من الناس من يحضر مجالس اللغو والزور، وفيه بقية من خير؛ فلا يشارك أهل المجلس في منكرهم ولغوهم، ولكنه لا ينكر عليهم ما هم فيه، ويظن أنه في منجى من الإثم، لأنه لم يشاركهم في زعمه!.

---

[1] () انظر تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لمسويه ص 72، وجوامع الآداب ص 11.

[2] () انظر تذكرة السامع والمتكلم ص 148_150.

وهذا خطأ شنيع؛ إذ لا يجوز للمـرء أن يشـهد مجـالس اللغو والخنا والزور_كما مر_إلا إذا كـان سـينكر عليهـم، أما إذا سكت عنهم فقد وقع في المداهنة المحرمة.

بل إن حضوره وسكوته عـن المنكـر خطـر علـى مـن يزاولونه؛ فقد يظنـون أن سـكوته إنمـا هـو إقـرار لهـم، ورضاً عما يصدر منهم.

فهـذه هـي المداهنـة المذمومـة، والـتي أصـلها مـن الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه.

وحقيقتهـا إظهـار الرضـا بمـا يصـدر مـن الظـالم أو الفاسق من قول باطل، أو عمل مكروه.

فهي بلادة في النفس، واستكانة للهوى، وقبول لمـا لا يرضى به ذو دين أو عقل أو مروءة.

هذه هي المداهنـة، فلا تلبـس بالمـداراة؛ إذ المـداراة محمودة مرغوب فيها؛ فهي من أخلاق المؤمنين.

وحقيقتها أنها ترجع إلى حسن اللقـاء، وطيـب الكلام، والتودد للنـاس، وتجنـب مـا يشـعر بغضـب أو سـخط أو ملالة، كل ذلـك مـن غيـر مـا ثلـم للـدين فـي جهـة مـن الجهات.[1]

قال ابـن بطـال×: =المـداراة مـن أخلاق المـؤمنين، وهي خفض الجناح للنـاس، وتـرك الإغلاظ فـي القـول، وذلك من أقوى أسباب الألفة+.[2]

فمن المدارة المحمودة أن تغشى تلك المجالس بِنِيَّـة الإصلاح، وتغيير المنكر، أو تخفيـف الشـر، فتأخـذ بسـنة المـداراة، فتتلطـف مـع أهـل المجلـس، وتنكـر عليهـم

---

[1] () انظر روضة العقلاء ص 70_71 وفتح الباري 10/544_545 ورسائل الإصلاح 1/31_138، وسوء الخلق مظاهره_أسبابه_ علاجه ص 119_ 128.

[2] () فتح الباري 10/545.

برفق، وتأخذ بأيديهم إلى ما فيه نجاتهم وسلامتهم، مراعياً بذلك الحكمة، متجنباً ما يشعر بغضبهم أو ملالتهم.

فهذا العمل محمود مبرور، وأنت فيه مأجور غير مأزور.

فإذا ما رأيت منهم إعراضاً عن الحق، وتمادياً في الضلالة والغواية، أو لمست منهم عناداً وجماحاً وتعنتاً، أو خشيت على نفسك من سلوك سبيلهم، وانحدار في حضيضهم_فالسلامة السلامة، والنجاء النجاء.

48_الجلوس على هيئة تشعر بقلة الأدب:

فليس من الأدب أن يجلس المرء جلسة استهتار بالآخرين، كأن يضطجع وهم جلوس إلا لعذر، أو أن يضع رجله في مواجهتهم أو نحو ذلك.[1]

وتتأكد مراعاة هذا الأدب حال الجلوس إلى العلماء؛ فيحسن بالمرء أن يجلس إليهم بتواضع، وسكون، وتعقل، ورزانة.[2]

49_الجلوس وسط الحلقة:

وهذا مما ينافي الأدب في الجالس.

قال الترمذي: =**حدّثنا سويد أخبرنا عبدالله، أخبرنا شعبة عن قتادة عن أبي مجلز أن رجلاً قعد وسط الحلقة، فقال حذيفة: ملعون على لسان محمد، أو لعن الله على لسان محمد"من قعد وسط الحلقة**+.[3]

---

[1] () انظر أدب المسلم ص 53.

[2] () انظر تذكرة السامع والمتكلم ص 147_148.

[3] () أخرجه أحمد 5/384_ 398، وأبو داود (4826)، والترمذي (2753)، والحاكم 4/281 كلهم عن حذيفة، وقال الترمذي = حسن صحيح+ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في

50_التفريق بين اثنين متجالسين دون إذنهما:

هـذا العمـل ممـا يشـعر بقلـة الأدب، وقلـةِ المراعـاة لمشاعر الآخريـن، فقـد يقطـع حـديثاً كـان متصـلاً بيـن اثنين، وقد يحرم صاحباً من محادثة صـاحبه، وقـد يثقـل على المتجالسين بجلوسه بينهما ونحو ذلك...

فهذا كله مما يولـد الكراهيـة والمعـاداة، ولأجـل ذلـك نُهي عن هذا العمل؛ حفاظاً علـى اسـتبقاء روح المـودة بين المسلمين.

أما إذا أذن الجالسان أن يُجلس بينهما فلا بأس بذلك.

قعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبدالله بـن عمـرو أن رسول الله"قال: =**لا يحل للرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما**+.[1]

51_إقامة الرجل من مجلسه والجلوس مكانه:

فلا يليق بالرجل أن يقيم أحداً من مجلسه ثـم يجلـس فيه؛ لما في ذلك من الكبر والتعالي، والإزراء بالآخرين.

ولهذا مُنع الرجل أن يقيم أخاه مـن مجلسـه؛ ليجلـس فيه؛ حرصـاً علـى علاقـة المسـلمين ببعـض أن تشـوبها شائبة.

عن ابن عمر_رضي الله عنهما_عن النـبي"قـال: =**لا يقيـم الرجـلُ الرجـلَ مـن مجلسـه ثـم يجلـس فيه**+.[2]

ضعيف الجامع (4697).

[1]() أخرجه أحمد 2/213، وأبو داود (4845)، والترمذي (2752) عن عبد الله ابن عمر وقال الترمذي = حسن صحيح+ وصححه أحمد شاكر في شرحه للمسند (6999)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (7532).

[2]() أخرجه البخاري 7/138، ومسلم (2177) عن ابن عمر.

قال ابن حجر× في شرح هذا الحديث: =قال_يعني ابن أبي جمرة×: والحكمة من هذا النهي منع استنقاص حق المسلم المقتضي للضغائن، والحث على التواضع المقتضي للمودة، وأيضاً فالناس في المباح كلهم سواء، فمن سبق إلى شيء استحقه، ومن استحق شيئاً فأُخِذ منه بغير حق فهو غصب، والغصب حرام، فعلى هذا يكون بعض ذلك على سبيل الكراهة، وبعضه على سبيل التحريم+.[1]

52_الجلوس في مكان الرجل إذا قام لحاجة:

قال_عليه الصلاة والسلام_: =**إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به**+.[2]

قال النووي×: =قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلاً، ثم فارقه؛ ليعود، بأن فارقه ليتوضأ، أو يقضي شغلاً يسيراً ثم يعود_لم يبطل اختصاصه، بل إذا رجع فهو أحق به في تلك الصلاة، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه لهذا الحديث.

هذا هو الصحيح عند أصحابنا، وأنه يجب على من قعد فيه مفارقته إذا رجع الأول.

وقال بعض العلماء: هذا مستحب، ولا يجب، وهو مذهب مالك، والصواب الأول.

قال أصحابنا: ولا فرق بين أن يقوم منه، ويترك سجادة و نحوها أم لا، فهذا أحق به في الحالين.

قال أصحابنا: وإنما يكون أحق به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها والله أعلم+.[3]

---

[1] () فتح الباري 11/65.

[2] () رواه مسلم (2179).

[3] () شرح النووي لصحيح مسلم 14/334.

قال ابن حجر: =وقال عياض: اختلف العلماء فيمن اعتاد بموضع من المسجد للتدريس والفتوى، فحكي عن مالك أنه أحق به إذا عُرِفَ به.

قال: والذي عليه الجمهور أن هذا استحسان وليس بحق واجب، ولعله مراد مالك.

وكذا قالوا في مقاعد الباعة من الأفنية والطرق التي هي غير ممتلكة، قالوا: من اعتاد بالجلوس في شيء منها فهو أحق به حتى يتمّ غرضُه+.[1]

وقال النووي: =إلا أن أصحابنا استثنوا منه ما إذا أَلِفَ من المسجد موضعاً يفتي فيه، أو يُقْرئ قرآناً أو غيره من الأمور الشرعية فهو أحق به، وإذا حضر لم يكن لغيره أن يقعد فيه.

وفي معناه من سبق إلى موضع من الشوارع ومقاعد الأسواق لمعاملة+.[2]

53_التقدم بحضرة الأكابر:

وذلك بأن يتقدمهم المرء بالحديث، فيتصدر المجلس بوجودهم، بل ربما تصدر الفتوى مع وجود من يكبره في العلم بمراحل.

ومن التقدم أيضاً أن يتقدمهم بالمجلس، فيجلس في مكان أُعِدَّ للأكابر، مما يعرضه للتنقص والازدراء، بل ربما أقيم من مكانه إذا حضر من أُعِدَّ له المكان.

=تباعد كعب الأحبار يوماً في مجلس عمر بن الخطاب، فأنكر ذلك عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن في حكمة لقمان، ووصيته لابنه: إذا جلست إلى ذي

---

[1] () فتح الباري 11/66.

[2] () شرح النووي لصحيح مسلم 14/334.

سلطان فليكن بينك وبينه مقعدُ رجلٍ؛ فلعله يأتيه من هو آثرُ عنده منك، فَيُنَحِّيك، فيكون ذلك نقصاً عليك+.[1]

وقال الأحنف: =لأنْ أُدْعى من بعد أحبُّ إليَّ من أن أُقْصَى عن قرب+.[2]

وعن الأحنف_أيضاً_أنه قال: =ما جلست مجلساً قط أخاف من أن أقام منه لغيري+.[3]

فجدير بالمرء أن يجلس حيث ينتهي به المجلس؛ فذلك أدعى للتواضع، وأكمل في المروءة، وأبعد عن التنقص.

قال ابن خالويه:

إذا لم يكن صدرٍ فلا خير فيمن صدّرته ... قال ابن المقفع: =إن استطعت أنْ تضع نفسك دون غايتك في كل مجلس، ومقام، ومقال، ورأي، وفعل_فافعل؛ فإنَّ رَفْعَ الناس إياك فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك، وتقريبَهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه، وتعظيمهم من أمرك ما لم تُعَظِّمْ، وتزيينَهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تُزَيِّنْ_هو الجمالُ+.[5]

54_قلة التفسح في المجالس:

فهناك من إذا جلس مجلساً أخذ فيه مكاناً واسعا؛ لأجل أن ينعم بالراحة، فيسلم من المضايقة.

---

[1] () بهجة المجالس 1/48.
[2] () بهجة المجالس 1/47.
[3] () بهجة المجالس 1/47.
[4] () أقوال مأثورة ص 153 عن طرائف الحكمة 2/74.
[5] () الأدب الصغير والأدب الكبير ص 151.

فقلة التفسح في المجالس خلق ذميم، ومسلك شائن، فهو ناتج عن ضيق النفس، وحبٌ في الاستئثار، وقلة مبالاة في الآخرين.

بل إن بعضهم قد يُوسَّع له في المجلس، فيأتي ويتربع، فيأخذ مساحة واسعة في المجلس، بل ربما لا يرضى أن يأتي أحد بعد ذلك بجانبه.

قال بعض الحكماء: =رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما: رجل وُسِّعَ له في مجلسٍ ضَيِّقٍ فَتَرَبَّعَ وتفتّح، ورجل أهديت له نصيحة فجعلها ذَنْباً+.[1]

ولهذا أدبنا الله_عز وجل_بأن نتفسح في المجالس؛ لما في ذلك من زرع للممودة، وتوثيق لعرى الأخوة، وتخلص من الأخلاق الذميمة.

قال_تعالى_: [**يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم**] (المجادلة: 11)

قال الشيخ ابن سعدي× في هذه الآية: =هذا أدب من الله لعباده إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم، أو بعض القادمين للتفسح له في المجلس_فإن من الأدب أن يفسحوا له؛ تحصيلاً لهذا المقصود.

وليس ذلك بضار للفاسح شيئاً، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه.

والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح لأخيه فسح الله له، ومن وسع لأخيه وسع الله عليه+.[2]

---

[1] () بهجة المجالس 1/47.

[2] () تيسير القرآن الرحمن 7/316.

قال عمر بن الخطاب÷: =مما يُصَفِّي لك ودَّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس+.[1]

وقال الأصمعي: =كان الأحنف إذا أتاه إنسان وَسَّع له، فإن لم يجد موضعاً تحرك؛ ليريه أن يوسع له+.[2]

55_ترك الاستئذان حال دخول البيوت:

فدخول البيوت دون استئذان من أهلها_مما ينافي الأدب ومكارم الأخلاق، ومما يوجب الريبة من الداخل، ويدعو لإساءة الظن به، واتهامه باستراق الحديث وتتبع العورات.

ولذلك أدبنا الله_تبارك وتعالى_بأن نستأذن إذا أردنا دخول بيوت غير بيوتنا.

قال_عز وجل_: [**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون**] (النور: 27).

قال ابن كثير× في تفسير هذه الآية: =هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان أمرهم ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي يستأذنوا، قبل الدخول، ويسلموا بعده+.[3]

قال×: =وقال قتادة في قوله(**حتى تستأنسوا**) هو الاستئذان ثلاثاً، فمن لم يؤذن له منهم فليرجع، أما الأولى فليسمع الحي، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردُّوا+.[4]

---

[1] () أدب المجالسة ص 31.
[2] () عيون الأخبار 1/306 وبهجة المجالس 1/48.
[3] () تفسير القرآن العظيم 3/269_270.
[4] () تفسير القرآن العظيم 3/272.

قال ابن سعدي× في تفسير الآية السابقة: =يرشد الباري عباده المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم بغير استئذان؛ فإن في ذلك عدة مفاسد، منها ما ذكره الرسول" حيث قال: =**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**+.[1]

فبسبب الإخلال به يقعُ البصر على العورات التي داخل البيوت؛ فإن البيت للإنسان في سَتْرِهِ عورةَ ما وراءه بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

ومنها أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية يدل على الشر.

ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم، (**حتى تستأنسوا**) أي تستأذنوا.

سمي الاستئذان استأناساً؛ لأن به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة+.[2]

ثم قال×: =**ذلكم**+ أي الاستئذان المذكور =**خيرٌ لك لعلكم تذكرون**+ لاشتماله على عدة مصالح، وهو من مكارم الأخلاق الواجبة، فإن أذن دخل المستأذن.

[**فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا**] أي فلا تمتنعوا من الرجوع ولا تغضبوا منه فإن صاحب المنزل لم يمنعكم حقًّا واجباً لكم، وإنما هو متبرع فإن شاء أذن أو منع؛ فأنتم لايأخذ أحدكم الكبر والاشمئزاز من هذا الحال+.[3]

---

[1] () رواه البخاري 7/130 عن سهل بن سعد.
[2] () تيسير الكريم الرحمن 3/393.
[3] () تيسير الكريم الرحمن 3/394.

ولهذا ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله" قال: =**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**+.[1]

والاستئذان يكون بالنداء، والسلام، وقرع الباب، ونحو ذلك.[2]

56_ترك السلام حال دخول المجلس وحال الخروج منه:

فالسلام الأول إيذان بالدخول، والسلام الآخر إيذان بالانصراف.

وهذا من الأدب الجميل الذي يورث المحبة بين المؤمنين.

وتركه دليل على الجفاء والغلظة، وذلك مما يورث البغضاء والنفرة.

ولهذا قال_عليه الصلاة والسلام_: =**إذا انتهى أحدكم من المجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة**+.[3]

57_الإخلال بأمانة المجالس:

فمن الناس من يحضر المجالس فلا يراعي حرمتها، ولا يحفظ حقوقها، بل تراه يسرد أخبارها، ويفشي أسرارها.

---

[1] () البخاري 7/130 عن أبي موسى الأشعري.

[2] () انظر إصلاح المجتمع ص 168.

[3] () أخرجه أحمد 2/287، والترمذي(2706) والبخاري في الأدب المفرد(1007) وابن حبان(494_495_496) والبغوي في شرح السنة(3328) كلهم عن أبي هريرة وقال الترمذي: =حديث حسن+ وصححه أحمد شاكر في شرحه للمسند(7839) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد(757).

وهذا ضرب من ضروب الخيانة، ومظهر من مظاهر الإخلال بالأمانة؛ فكم من حبال تقطعت، وكم من مصالح تعطلت؛ لإستهانة بعض الناس بأمانة المجالس، وذِكرهم ما يدور فيها.

فالمجالس لها حرمات يجب أن تصان، مادام الذي يجري فيها مقيداً ومربوطاً بقوانين الأدب وشرائع الدين.

أما إذا كانت المجالس خَنَاً وزورٍ، تزاول فيها المنكرات وتشرب فيها الخمور، وتسفك فيها الدماء المحرمة، ويمكر فيها بالأبرياء، ويخطط فيها للفساد_فلا حرمة لها؛ وعلى كل مسلم شهدها أن يسارع للحيلولة دون الفساد جهد طاقته.

قال رسول الله": =**المجالس بالأمانة إلا مجلس سفك فيه دم حرام أو فرج حرام، أو اقتطاع مال حرام**+.[1]

ومن الإخلال بأمانة المجلس أن يفشي المرء سر صاحبه إذا جلس إليه، وأفضى إليه بمكنونه، وأشعره بأنه لايحب اطلاع أحد عليه.

فإفشاء السر من الأخلاق المرذولة، وهو مركب من الخرق والخيانة؛ فليس بوقورٍ من لم يضبط لسانه، ولم يتسع صدره لحفظ ما يُسْتَسَرّ به.[2]

قال_عليه الصلاة والسلام_: =**إذا حدّث الرجل ثم التفت فهي أمانة**+.[3]

---

[1] () أخرجه أبو داود(4868) وأحمد 3/342_343، عن جابر وضعفه الألباني في السلسلة(1909).

[2] () انظر تهذيب الأخلاق للجاحظ ص 31.

[3] () أخرجه أحمد 3/324_379 وأبو داود(4868) والترمذي(1999) عن جابر وقال الترمذي: (حديث حسن) وحسنه الألباني في صحيح

=قال عمر بن عبدالعزيز لمحمد بن كعبٍ القرضي: أي خصال الرجال أوضع؟.

قال: كثرة كلامه، وإفشاءه سره، والثقة بكل أحد+.[1]

قال الشيخ ابن سعدي×: =كن حافظاً للسر، معروفاً عند الناس بحفظه؛ فإنهم إذا عرفوا منك هذه الحال أفظوا إليك بأسرارهم، وعذروك إذا طويت سر غيرك الذي هم عليه مشفقون، وخصوصاً إذا كان لك اتصال بكل واحد من المتعادين؛ فإن الوسائل لاستخراج ماعندك تكثر وتتعدد من كلٍ من الطرفين، فإياك إياك أن يظفر أحد منهم بشيء من ذلك تصريحاً أو تعريضاً.

واعلم أن للناس في استخراج ماعند الإنسان طرقاً دقيقةً، ومسالكَ خفيةً؛ فاجعل كل احتمال_وإن بعد_على بالك، ولا تؤتَ من جهةٍ من جهاتك؛ فإن هذا من الحزم.

واجزم بأنك لاتندم على الكتمان، وإنما الضرر، والندم في العجلة، والتسرع، والوثوق بالناس ثقةً تحملك على ما يضر+.[2]

58_التجسس والتحسس:

أصل التجسس تعرف الشيء عن طريق الجس أي الاختبار باليد.

والتحسس هو تعرف الشيء عن طريق الحواس، ثم استعمل في البحث عن عيوب الناس.

الجامع(500).

[1] () العزلة للخطابي ص 169.

[2] () الرياض الناضرة ص 210.

وقيــل: إن الأولَ البحــثُ عــن العــورات، والثــاني الاستماعُ لحديث القوم.

وقيل: إن الأول البحث عن بـواطن الأمـور، وأكـثر مـا يكون في الشر.

والثاني مايدرك بحاسة العين والأذن.

وقيــل: التجســس: تتبــع العــورات لأجــل غيــره، والتحسس تتبعها لنفسه.[1]

والحاصل أن التجسس والتحسس خلقان مذمومان.

فالواجب على المسلم أن يكتفي من إخوانه بالظاهر، وأن يَكِلَ الباطن على العليم الخبير.

ومن صور التجسس و التحسـس ماتجـده عنـد بعـض النـاس، حيـث يجلـس فـي مكـانٍ مـا، لايـراه أحـد مـن الجالسين فيه فيستمع ما يدور بينهم، إمـا للإيقـاع بهـم، وإما لإشباع فضوله وتطفله.

ومـن ذلـك_أيضـاً_أن يرخـي الإنسـان أذنـه؛ لسـماع حديثٍ بين اثنين يتناجيان في مجلسٍ ما.

ومـن ذلـك أن يقـف المـرء وراء مـن يكتـب شـيئاً أو يقرؤه؛ ليطلع عليه.

فيجب على المسلم أن يحـذر التجسـس والتحسـس، وأن ينـأى بنفسـه عـن هـذه الأخلاق المرذولـة، والـتي حرمها الله علـى عبـاده المـؤمنين، ونهـاهم عـن فعلهـا والاتصاف بها.

قال_عز وجل_: [**ولا تجسسوا**] (الحجرات: 12).

وقال": =**ولا تحسسوا ولا تجسسوا**+.[2]

---

[1] () انظر الأدب النبوي ص 173 وسوء الخلق للكاتب.

[2] () رواه البخاري(7/88) ومسلم(2563).

أما إذا كان التجسس والتحسس طريقاً لدرء مفسدة عظيمة، أو جلب مصلحة كبيرة_فلا بأس في ذلك، كما لو علمنا بأن أناساً عزموا على ارتكاب جريمة قتل أو سرقة أو نحو ذلك، فتجسسنا عليهم لنحول بينهم وبين ما يشتهون_فلا حرج في ذلك، بل قد يجب على من يعنيه الأمر.

59_الجلوس في الطرقات دون إعطائها حقّها:

فهناك من يجلس في الطرقات العامة، التي يسلكها الرجال والنساء، ويمر بها الأشراف والسفهاء، ويختلط فيها الحابل بالنابل، فيعرّض هذا الجالس نفسه للفتن، وللتقصير في أداء حق الطريق.[1]

ولهذا نهينا عن الجلوس في الطرقات.

فعن أبي سعيدٍ الخدري÷ أن النبي" قال: =**إياكم والجلوس في الطرقات.**

فقالوا: يارسول الله، مالنا من جلوسنا بدٌّ، نتحدث فيها.

فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطو الطريق حقَّه.

قالوا: وماحق الطريق يارسول الله؟

قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر+.[2]

قال الإمام النووي× في شرح هذا الحديث: =هذا الحديث كثير الفوائد، وهو من الأحاديث الجامعة، وأحكامه ظاهرة، وينبغي أن يتجنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث.

---

[1] () انظر فتح الباري 11/13_14 وإصلاح المجتمع ص 141_149.

[2] () أخرجه البخاري_ الفتح_ 7/126 ومسلم(2121) عن أبي سعيد.

ويدخل في كف الأذى اجتنـاب الغيبـة، وظـن السـوء، وإحقار المارين، وتضييق الطريق.

وكـذا إذا كـان القاعـدون ممـن يهـابهم المـارُّون أو يخـافون منهـم، ويمتنعـون مـن المـرور فـي أشـغالهم بسبب ذلك؛ لكونهم لا يجدون طريقاً إلا ذلك الموضع+.[1]

هذا وللطرقات آداب أخرى غير ما ذكر في الحـديث السابق، فقد ورد ذكرها في أحـاديث أخـرى، وقـد بلـغ مجموع تلك الآداب أربعة عشر أدباً كما قال ابن حجـر فـي الفتـح، وقـد نظمهـا× فـي الأبيـات التاليـة، حيـث يقول:

جَمَعْـتَ آدابَ مـن رام الطريـق مـن قـول خيـر
أفْـشِ السـلامَ وأحسـن وشمِّتْ عاطساً وسـلاماً
فـي الحمـل عـاوِن لهفـانَ أهـدِ سـبيلاً واهـد
بالعرف مُرْ وانْهَ عن نُكرٍ مولانـا[2]

60_**فقدان المودة والصفاء، وشيوع الكراهيـة والبغضاء:**

فالمجالس التي تجمع الناس، ويكثر أهلها من ارتيادها والاختلاف إليهـا_يُفْتَـرض فيهـا أن تكـون مجـالس خيـر وبركة، وأنس ومودة، تسودها الألفة والإخـاء، ويرفـرف في أفياءها الصفاء والنقاء، ويجد فيها المرء فيهـا فرحـه وسروره، ويطرح في ساحها همومه وأنكاده وغمومه.

إلا أن المتأمل لكثيرٍ من المجالس لا يجد إلا عكس ما مضى؛ فيكثر فيه الخلاف، ويغلـب علـى مرتاديهـا سـوء

---

[1] () صحيح مسلم بشرح النووي 14/284_285.
[2] () فتح الباري 11/13.

الظن، وتشيع فيما بينهم العداوة والبغضاء، ويكثر فيهم الحسد والبغي والاستطالة.

فإذا رأيت أصحابها ظننتهم إخوة متآلفين من كثرة ما يلقى بعضهم بعضاً.

وإذا كشفت عن سالفتهم، وتَبَيَّنْتَ حقيقة أمرهم_وجدت قلوباً متنافرة، وضلوعاً على الضغينة مَحْنِيَّة؛ فالواحد منهم يحذر جلسائه، ويتحفظ منهم أشد التحفظ، فإذا قال كلمة خشي من تكذيبهم له، أو سخريتهم به، وإذا همَّ بالقيام من المجلس خاف من لمزهم وغيبتهم له بعد فراقه المجلس.

قال الخطابي×: =قال بعض الناس: إني لا أُشَبِّه أهل هذا الزمان إذا رأيتهم قد تلاقوا في المحافل، وتدانوا في المجالس، وتحالّتْ[1] بهم الرُّكبُ_إلا بقوم تصافُّوا مستعدين لمحاربة أعدائهم، وتضافروا مُتَأَهِّبين لمناصبة أقرانهم، فشهدوا مركز اللقاء بسيوف مشهورة، وأسِنَّة مطرورة[2]، وقِسِيٍّ مُوَتّرةٍ[3]، وسهام مُفَوَّقَةٍ[4]؛ فتطاعنوا ضرباً بسيوفهم، ودعساً[5]، برماحهم، وتراشقوا خَصْلاً[6] سهامهم، حتى انْفَلَّت سيوفهم، وكَلَّت أيديهم، ونتلت كنائنهم[7] عن آخر أهزع[8]؛ فأجْلَت المعركة بينهم عن قتيل تشخب

---

[1] () تحالت: نزلت.
[2] () مطرورة: ذات طرة وهيئة حسنة.
[3] () موترة: مشدودة، وتر القوس أي شد وترها.
[4] () مفوقة: أي وضعت في الوتر؛ ليرمى بها.
[5] () دعسا: طعناً.
[6] () خصلاً: خصل السهم: أي وقع بلزق الهدف.
[7] () كنائنهم: جمع كنانة وهي جعبة السهام.
[8] () أهزع: الأهزع السهم الذي يبقى في أسفل.

أوداجُه، وجريح يفيح عانده[1]، ومُرْتَثٍّ[2] لانهوض به، ومُثْخَنٍ ينوء على ضِلعِه.

فذلك الوجه والمثال فيما شبهته لك من صنيع أهل هذا الزمان إذا ضمتهم المجالس، ولَفَّتْهم الملاقي والمجامعُ؛ فتصور الآن قلوبهم، وماتَجُنُّه ضمائرهم من الغل والحسد، وماتحني عليه ضلوعهم من الإحن والضغائن قِسيّاً موترة، وألسنتهم وما يرْمون به من القول سهاماً مفوقة.

نصبوا أعراض الناس أغراضاً، وافترضوا بها افتراضاً؛ فهم إذا تأملتهم وجدتهم على طبقاتٍ شتى، منهم ذو القحة[3] الذي يكاشف بالشتم الصريح مكاشفةً، ويجاهر باللفظ القبيح مجاهرة ومعالنة[4]، ومنهم من يعرض بالأذى ويَكْني ويُمرّض[5] القول به ويورّى، ومنهم من يؤذي صاحبه بالمسارَّةِ والنجوى والمباثة والشكوى، ومنهم من يشجو أخاه بغمز العينين، وزَيِّ[6] الحاجبين، ورمز الشفتين[7]، وكرف العرنين[8].

وأسلمهم جانباً من لايعاجل بالسوء معاجلة، ولا يؤاخذ بالذنب بغتةً، لكن يحصي الأنفاس، ويعد الحروف والألفاظ، ويحفظها ليوم حاجته، وأوان فرصته، فَيُبَكِّت

---

[1] () يفيح عانده: يفيح أي ينتصب، والعاند الجرح الذي لا يسيل ولا يجف.
[2] () المرتث: الصريع الذي يثخن في الحرب وبه رمق ثم يموت.
[3] () ذو القحة: قليل الحياء.
[4] () معالنة: المجاهرة.
[5] () يمرض القول: يوهنه.
[6] () زي الجبين: جمعه وقبضه.
[7] () رمز الشفتين: الإشارة والإيماء بهما.
[8] () كرف العرنين: شمه.

بهـا، ويُعَيِّـر ويطنـب فيهـا أو يُقصّـر علـى شـاكلة قـول الشاعر:

احــذر مــودةَ مــاذِقٍ[1] شـاب المـرارةَ بـالحلاوهْ

يحصي العيوب عليك أي يَـام الصـداقة للعـداوهْ[2]

61_قلة ذكر الله في المجالس:

فكثير مـن المجـالي_واللـه المسـتعان_تعمـر بالقيـل والقـــال، وبـــاللغو واللغـــط، ويقـــل فيـــه ذكـــر الله_تعالى_والصلاة على النبي".

وهـذا الأمـر مـدعاة لنـزع الـبركو، وحلـول النقمـة والحسرة.

عن أبي هريرة÷ قال: قـال رسـول اللـه": =**مامن قـــوم يقومـــون مـــن مجلـــس لايـــذكرون الله_تعالى_فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمـار، وكان لهم حسرة+**.[3]

وعنه÷ عن النبي"قـال: =**مـاجلس قـوم مجلسـاً لم يـذكروا اللـه_تعـالى_فيـه ولـم يصـلوا علـى نبيهم فيه_إلا كان عليهم تِرَةً؛ فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم+**.[4].

62_قلة المبالاة بقول كفارة المجلس:

---

[1]() الماذق: من المماذقة في الود وهي ضد المخالصة.

[2]() العزلة للخطابي ص 193_194.

[3]() رواه أبو داود(4755) وأخرجه أحمد 2/389_515، وأخرجه الحاكم 1/192، وصححه الحاكم عن أبي هريرة، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(77).

[4]() أخرجه أحمد 2/446_453، والترمذي(3380) والحاكم 1/496، والبيهقي 3/210، كلهم عن أبي هريرة، وقال الترمذي= حديث حسن صحيح+ وصححه الحاكم، والألباني في صحيح الجامع(5483).

فكثير من الناس يطلق العنان للسانه، فيكثر لغطه ولغوه، ثم يقوم من المجلس دون أن يقول الدعاء الوارد في نهايته.

وهناك من الناس من لايحافظ على هذا الدعاء مع مافيه من الفضل العظيم، بل يقوله أحياناً دون محافظة عليه.

فاللائق بالمسلم أن يحافظ على هذا الدعاء؛ حتى يحصل على الأجر العظيم المترتب على قوله، وليسلم من تبعات ماصدر منه في ذلك المجلس.

عن أبي هريرة÷ قال: قال رسول الله": =**من جلس في مجلس، فَكثُر فيه لغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك_إلا غفر له ماكان في مجلسه ذلك**+.[1]

وعن أبي برزة÷ قال: كان رسول الله" يقول بأخرةٍ[2] إذا أراد أن يقوم من المجلس: =**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**+.

فقال رجل: يارسول الله، إنك لتقول قولاً ماكنت تقوله فيما مضى.

قال: =**ذلك كفارة لما يكون في المجلس**+.[3]

---

[1] () أخرجه أحمد 2/494، والترمذي(3433) والبغوي(1340) والحاكم 1/536، وابن حبان (594) عن أبي هريرة وقال الترمذي= حديث حسن غريب صحيح+وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع(6068).

[2] () بأخرة: بفتح الهمزة والخاء: آي في آخر عمره.

قال ابن عبد البر×: =وروي عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن في قول الله_عز وجل_ [**وسبح بحمد ربك حين تقوم**] (الطور: 48)منهم مجاهد، وأبو الأحوص، وعطاء، ويحي بن جعدة، قالوا: حين تقوم من كل مجلس تقول فيه: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك.

قالوا: ومن قالها غفر له ماكان في المجلس.

وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفّارة.

ومنهم من قال: تقول حين تقوم: سبحان الله وبحمده من كل مكان، ومن كل مجلس+.[1]

---

[3]() أخرج أبو داود(4859) والحاكم 1/537، والدرامي 2/736 (2559) عن أبي برزة الأسلمي، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود(4068): = حسن صحيح+.

[1]() بهجة المجالس 1/53.

الخاتمة

هذا ماَيسَّر الله جمعه، وأعان على إتمامه، مـن تبيـان لبعض الأخطاء التي تقع في أحاديثنا ومجالسنا.

وفـي نهايـة المطـاف أسـأل اللـه_سـبحانه_بأسـمائه الحسنى، وصفاته العلى_أن ينفع بهـذه الصـفحات، وأن يجعلها معينة على البر، دافعة إلى الخير.

كما أسأله_تبارك وتعـالى_أن يسـتعملنا فـي طـاعته، وأن يجعل أحاديثنا ومجالسنا عامرة بذكره، مقربـة إلـى رضوانه وجنته.

كمـا آمـل مـن القـارئ الكريـم أن لايحـرم أخـاه مـن ملاحظة يبديها، أو دعوة صالحة يهديها.

وعسـى أن لا أكـون أثقلـت علـى القـراء، أو ضـيقت عليهـم، فمـا [**أريد إلا الإصـلاح مـا اسـتطعت ومـا توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**] (هـود: 88).

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين، وسـلام علـى المرسـلين وصـلى اللـه وسـلم علـى نبينـا محمـد وآلـه وصحبه.

1_الثرثرة 5
2_الاستئثار بالحديث 7
3_الحديث عن النفس على سبيل المفاخرة 8
4_الغفلة عن مغبة الكلام 10
5_قلة المراعاة لمشاعر الآخرين 13
6_التعميم في الذم 15
7_كثرة الأسئلة، وتعمد الإحراج فيها 16
8_سرعة الجواب 18
9_الحرص على إبداء الرأي في كل صغيرة وكبيرة 19
10_التعرض للسفلة والسفهاء 21
11_الحديث بما لا يناسب المقام 23
12_الحديث عند من لا يَرْغَبُ 28
13_تكرار الحديث 30
14_التعالي على السامعين 31
15_ترك الإصغاء للمتحدث 32
16_الاستخفاف بحديث المتحدث 34
17_المبادرة إلى إكمال الحديث عن المتحدث 35
18_القيام عن المتحدث قبل أن يكمل حديثه 36
19_المبادرة إلى تكذيب المتحدث 37
20_التقصير في محادثة الصغار 38
21_الوقيعة في الناس 41
22_التسرع في نشر الأخبار قبل التثبت منها ومن جدوى نشرها 42
23_الكذب 43
24_سماع كلام الناس بعضهم ببعض،وقبول ذلك دون تمحيص أو تثبُّت 44

25_رفع الصوت 45
26_الغلظة في الخطاب 46
27_الشدة في العتاب 51
28_التقصير في أدب الهاتف. 55
أ_قلة المبالاة بصحة الرقم المطلوب 55
ب_شدة الغضب حال الاتصال الخطأ 56
ج_قلة المراعاة لوقت الاتصال 56
د_الإطالة بالمكالمة بلا داعٍ 57
هـ_قلة الاعتداد بالسلام من المتَّصِل بدايةً ونهايةً 57
و_سكوت المتَّصِل إذا رُفِعت السماعة 57
ز_التعمية على المتَّصَل عليه 57
ح_خضوع المرأة بالقول حال المهاتفة واسترسالها بالحديث مع الرجال 57
ط_إزعاج الناس بالأخبار الكاذبة 58
ي_تسجيل صوت المتكلم دون إذنه وعلمه 58
ك_المعاكسات الهاتفية 59
29_التقصير في أدب الحوار 59
أ_قلة الإخلاص 61
ب_الدخول في النيات 61
ج_الغضب 62
د_الهجر والصرم 62
هـ_إغفال الجوانب العاطفية 63
و_قلة الإنصاف 64
ز_التهكم بالمحاور 67
ح_التحدي والإفحام 68
ط_تفخيم النفس 69

ي_تجاهل اسم المحاور 70
ك_التنازل عن المبدأالثابت 71
ل_الإصرار على الخطأ، والأنفة من الرجوع إلى الحق 72
م_قلة العلم بمادة الحوار 74
ن_إصدار الأحكام في مستهل الحوار 76
س_قلة المراعاة لعامل الزمان والمكان 78
ع_التشعب في الحوار، والخروج عن المضمون 78
ف_محاورة ذي المهابة العظيمة 78
30_الجدال والمراء والخصومة 79
31_حب المعارضة والمخالفة 83
32_بذاءة اللسان، والتفحش في القول 85
33_التَّقَعُّرُ في الكلام 89
34_الخوض فيما لاطائل تحته 92
35_كثرة التلاوم 94
36_كثرة الشكوى إلى الناس 95
37_كثرة الحديث عن النساء 96
38_كثرة الهزل 97
39_كثرة المزاح 97
40_كثرة الحلف 100
41_تتبع عثرات الجليس 100
42_إظهار الملالة من الجليس 101
43_تكليف الرجل جلاسَه بخدمته 104

44_تناجي الاثنين دون الواحد 106
45_القيام بما ينافي الذوق في المجالس 107
46_مزاولة المنكرات في المجالس 108
47_حضور مجالس اللغو ومداهنة أهلها 108
48_الجلوس على هيئة تشعر بقلة الأدب 110
49_الجلوس وسط الحلقة 110
50_التفريق بين اثنين متجالسين دون إذنهما 111
51_إقامة الرجل من مجلسه والجلوس مكانه 111
52_الجلوس في مكان الرجل إذا أقام لحاجة 112
53_التقدم بحضرة الأكابر 113
54_قلة التفسح في المجالس 115
55_ترك الاستئذان حال دخول البيوت 116
56_تـرك السـلام حـال دخـول المجلـس وحـال الخروج منه 118
57_الإخلال بأمانة المجالس 11

58_التجسس والتحسس 120
59_الجلوس في الطرقات 121
60_فقدان المـودة والصـفاء، وشـيوع الكراهيـة والبغضاء 123
61_قلة ذكر الله في المجالس 126
62_قلة المبالاة بقول كفارة المجلس 126
_الخاتمة 129
_المحتويات 130